

البيان الجلي

في مناقب الإمام العلّامة

الحبيب محمّد بن علي - ابن علوي السقّاف

جمع حفيده

السيّد مصطفى بن سالم بن محمّد السقّاف



في مناقب الإمام العلامة

الحبيب محمد بن علي - ابن علوي السقاف

جمع حفيده

السيد مصطفى بن سالم بن محمد السقاف

الطبعة الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله علىٰ نعمه المتكاثرة وأياديه المتواترة، الذي أحسن علىٰ عباده وأنعم وتفضّل وتكرّم بما لا يضبطه عَد ولا يحصره حَد، أحمده حمد معترفٍ بالقصور عن القيام بأقل نعمة أسداها ومِنحة أولاها ورزية زواها، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نعدها ذخيرة يوم الدين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين، من أُرسل رحمة للعالمين وإماماً للمتقين وأماناً للخائفين، صلى الله وسلّم علىٰ تلك الذات الطاهرة والطلعة الفاخرة وعلىٰ آله الأطهرين السالكين علىٰ منهجه القويم وعلىٰ صحابته الأكرمين والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

(أما بعد) فإن العلم أشرف معلوم، وإنّ حَمَلته أفضل من يمشي علىٰ وجه الأرض، إذ هم ورثة الأنبياء وخلفائهم والمبلغون عنهم، ولولاهم لتعطّلت مصالح العباد وكَثُر البغي والفساد، فَبِهم تتبين مصابيح الهدىٰ من ظلمات أهل الضلال، فَهُم نجوم السماء وسادات الأرض وشموس المعارف وبدور اللطائف وأمان لكل الخائف، ولا سيما السادة العلماء العارفين، فروع الدوحة الهاشمية وغصون الشجرة الأبطحية، الذين زيّن الله بهم وجه البسيطة ونورّها تنويراً، وأذهَبَ عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، فقد تحلّوا بالعِلمين وحازوا الشرفَين، وتُوّجوا بتاج العز والكرامة، وخُصّوا بالشرف والزعامة والإمامة.

إن عُدَّ أهل التقىٰ كانوا أئمتهم ... أو قيل من خير أهل الأرض قيل هُمُ
لا يستطيع جواد بُعْدَ غايتهم ... ولا يدانيهم قوم وإن كرموا

ومن أفضلهم وأجلّهم العالم العلامة والجهبذ الفهامة، أحد العلماء المحتاطين والأولياء العارفين، ذو الخلق الكريم والداعي إلى المنهج القويم، ذو الفضائل العديدة والشمائل الحميدة، المتمسك بالورع والتقوىٰ بالسبب الأقوىٰ، العارف بالله والدال عليه: «**محمد بن علي بن علوي بن عبدِ الله بن محمد السقاف باعلوي**» وكنت منذ زمن طويل أطاوع نفسي علىٰ جمع ما تيسر وسَهُل من شمائله الحميدة، وقد طلب مني ذلك غير واحد من الأفاضل، منهم العالم الورع الزاهد السيد الجليل عبد الله بن محمد بن جعفر السقاف، حتىٰ كتب لي كتاباً يحرّضني ويحثني علىٰ ذلك، وبقيت متأخراً فاتر العزم لكوني لست أهلاً لجمع ذلك، ووددت أن يتصدىٰ غيري، ولكن لما رأيت بعض ماله من إجازات ووصايا قد ضاع جرّدت العزم لحفظ وجمع هَدْيِه وشمائله وما وُجِدَ له من وصايا وإجازات صدرت منه لتلاميذه أو من مشايخه له، تذكرة لنفسي وقياماً ببعض الواجب وخدمة لذلك الجناب، واجعل ذلك واسطة بيني وبينه في التعلق والإرتباط به، فقد قال بعض العارفين: إن المشايخ إذا ماتوا تركوا همّتهم متعلقة بقلوب من استند إليهم، فعسىٰ بسبب ذلك أن أعدَّ من المتعلقين ومن المحبين.

أحبُّ الصالحين ولستُ منهم لعلي إن أنال بهم شفاعة
وأكره من بضاعته المعاصي وإن كنا سواءً في البضاعة

ثم إني ذكرت ضمن ذلك سِيَر بعض مشايخه وتلاميذه الذين حصلت منهم الإجازة له أو منه لهم، نعم لمّا كان أكثر اعتمادي في هذا الجمع علىٰ العَلَمين الشهيرين عَيْنَي العصر والزمان، سيدي العلامة أحمد بن عبد الرحمن ابن علي السقاف، والعمدة الفهامة محمد بن هادي بن حسن السقاف، ذكرت بعض سيرتهما مع غاية الإيجاز والإختصار، وجعلت أمام ترجمة شيخنا محمد ذكر والده فإنه من الآخذين عن صاحب الترجمة، وقصدي

بذلك أن أنتظم في سلك محبيهم وتبركاً بهم، وذكرى لي ولغيري من الراغبين، فإن تراجم العلماء وذكر مالهم من هدي وشمائل مما يبعث هِمَم الطالبين علىٰ اقتفاء سبيلهم، ويُنهض عزائم الكرماء إلىٰ الرقي إلىٰ منازلهم، وأطلب من المولىٰ أن يجعل ذلك في حيّز القبول خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتفضل علينا بما تفضّل به علىٰ أوليائه الكمّل، ويوصلنا بهم وصلة مستمرة حتىٰ نلقاهم في مستقر رحمته ودار كرامته إنه خير مأمول وأكرم مسؤل. وسمّيته «**البيان الجلي في مناقب الحبيب محمد بن علي**» وهذا أوان الشروع وبالله التوفيق.

ولد رضي الله عنه نحو سنة خمس وعشرين ومائتين وألف بمدينة سيؤن المحروسة، ونشأ في أرجائها المأنوسة، وتربى تحت نظر جده الولي الصالح علوي بن عبد الله وتأدب بآدابه، وقرأ القرآن العظيم علىٰ معلّمه الشيخ الفاضل محمد بن عبد القادر بارجاء، ثم اشتغل بطلب العلم النافع، فأخذه عن كل قريب وشاسع، وأكبَّ علىٰ تحصيله حتىٰ هجر الوساد وواصل السهاد وقطع المعتاد، ولازم في طلبه الأدب وجثىٰ علىٰ الركب، بين يدي مشايخه الأعلام هداة الإسلام، فأخذ عن كثيرين من أهل العلم والتمكين من أهل بلده ومن غيرهم، فمن أجلّهم فريد عصره ووحيد دهره، المجمع علىٰ تقدمه علىٰ غيره، نور الدين وأحد الأئمة العارفين علي بن عمر ابن سقاف، وأخوه العلامة النحرير المتحلي بمحاسن الأوصاف محمد بن عمر بن سقاف، والعالم الجامع للعلوم الشرعية المتفنن في علوم العربية وجيه الدين عبد الرحمٰن بن حسن بن سقاف، والفقيه الفهامة العارف بالله والدال عليه جمال الدين محمد بن عبد الله بن قطبان، والعلامة الكبير فارس الميدان والفائق علىٰ الأقران محسن بن علوي بن سقاف، والعارف بالله الولي ذو القلب الصفي شيخ بن عمر بن سقاف، قرأ عليه صحيح الإمام مسلم وموطأ الإمام مالك وغير ذلك، ثم أخذ عن علماء القطر الحضرمي

وغيره كمثل القطب المكين الداعي إلىٰ الله والدال عليه أحمد بن عمر بن سميط، والقطب الكامل الشهير الحسن بن صالح البحر، والسيد الكريم ذي النور الظاهر عبد الله بن حسين بن طاهر، وشيخ الإسلام والمسلمين عفيف الدين عبد الله بن علي بن شهاب الدين، والمحقق العلامة الفقيه عبد الله بن حسين بلفقيه، والإمام الذي قصده الناس للتدريس والفُتيا عبد الله بن عمر ابن يحيىٰ، والفقيه النحوي الأصولي مفتي الحرمين محمد بن حسين الحبشي، والجهبذ العلامة اللّوذعي علوي بن سقاف الجفري، والشيخ العلامة الجليل عبد الله بن أحمد باسودان وابنه الفهامة محمد بن عبد الله، والشيخ النحرير عبد الله بن سعد بن سُمير، وغير هؤلاء ممن يطول عدّهم ويعجزني حصرهم، وإلاّ فَهُم العدد الكثير والجم الغفير.

ولأقبضــنَّ عنــان قــولــي هــاهنــا حسبي وفي تعدادهم لم أطمعِ

وصَحِبَ من إخوانه وأقرانه العلماء الجهابذة كثيراً، فمن أخصهم وأجلّهم العلامة الوجيه عبد الرحمٰن بن علي بن عمر بن سقاف كان شريكه في الطلب وكانت بينهما صحبة أكيدة ومحبة في الله، وأَخَذ كلٌ منهما عن صاحبه، وكانا كَفَرَسَي رهان ورضيعي لِبان، وكلٌ منهما يعظّم الآخر ويعتقد أنه أحق بالفضل والتقدّم، ومنهم العلامة عيدروس عمر الحبشي قال في كتابه العِقد في ذكر معاصريه: وممن أجازني وأجزته وزاورته وصحبته السيد العلامة الجليل محمد بن علي بن علي بن عبد الله. انتهىٰ، ومنهم ذو القلب السليم عبد القادر بن حسن بن عمر بن سقاف، والمتحلّي بالأنوار أحمد بن محمد المحضار، وطيّب الذكر والأرج حامد بن عمر بافرج، وذو الكرم الباذخ محمد بن إبراهيم بلفقيه، والولي الصوفي صالح بن عبد الله العطاس، والبحر الزاخر أبو بكر بن عبد الله العطاس، وغيرهم من علماء تريم ودوعن وسائر علماء حضرموت، فتأدب رضي الله عنه بآدابهم وحضر مجالسهم

ولقط نفائسهم وقطف أنوارها وجنىٰ ثمارها وكرع من حياضها ورتع في رياضها وتفيأ في ظلها الوريف وسكن في قصرها المنيف، فما زال يدأب في التحصيل بالغدوّ والأصيل، حتىٰ بلغ من العلوم مراده ورفع من معاقل العزِّ والشرف عماده، وتضلّع من العلوم العقلية والنقلية ومهر في استخراج منطوقها من مفهومها، فصار يبدي من الفوائد العجيبة والأبحاث الدقيقة ما يبهر العقول ويدل علىٰ غزارة علمه وقوة مادته، فلما صَفَت له من العلم مناهله، واشتد في الفضل كاهله، نصبه مشايخه للتدريس، فجدّد مغنى العلم والدّريس، وأبدىٰ كل معنىٰ نفيس، وأفاد الطالبين وهدىٰ الحائرين وأرشد الغافلين، وقرّر العلوم وفتح مقفلاتها وكشف القناع عن مخبئاتها، وأوضح المشكلات وبيّن المبهمات، وقصده الطلبة من كل مكان، وعكف عليه أبناء الزمان، واعترف بفضله الأكابر، وكم ترك الأول للآخر، وكان يحضر درسه فضلاء دهره ونبلاء عصره، حتىٰ تخرج عليه جمع من العلماء الأعلام، منهم العلامة الجليل محمد بن عبد القادر بن حسن، والفقيه القاضي صافي بن شيخ بن طه السقاف، والجهبذ الفهامة عبد الله بن محسن ابن علوي السقاف، و الفقيه الشهاب أحمد بن طه بن علوي السقاف، والعالم الإمام علوي بن عبد الرحمٰن بن علوي السقاف، والسيد المتواضع طه بن أبي بكر السقاف، والحَبر الشريف حسين بن أبي بكر بن عمر بن سقاف، والغوث الكامل علي بن محمد بن حسين الحبشي، ومنوّر البصيرة أحمد بن حسن العطاس، والمحقق الجمال محمد بن حامد السقاف، والعلامة الجليل هادي بن حسن السقاف، والشيخ الفاضل أحمد بن سعيد بن عيسىٰ العمودي، وخليفة السلف أحمد بن عبد الرحمٰن بن علي السقاف، وغير هؤلاء ممن يطول عدّهم، بل كل من حضر وقته أخذ عنه واستمد منه وانتسب إليه، وكان مدْرَسُهُ رضي الله عنه بمسجد جده طه بن عمر بكرة يوم الإثنين ويوم

الثلاثاء، والقراءة في المنهاج للإمام النووي، ويوم السبت بمسجد السلطان في العزلة التي كان شيخه العلامة محمد بن عبد الله بن قطبان يجلس للتدريس فيها، والقراءة أيضاً في المنهاج، وكان سبب طلوعه للقراءة في العزلة المذكورة أن شيخه المذكور عاتبه علىٰ عدم المجيء إليها والجلوس للتدريس فيها، سمعت سيدي أحمد بن عبد الرحمٰن بن علي نفع الله به يقول: سمعت العم محمد بن علي يقول: ما عاتبني أحد من مشايخي إلا الحبيب علي بن عمربن سقاف والحبيب محمد بن عبد الله بن قطبان، فالأول عاتبني علىٰ عدم مجيئي إلىٰ مصلىٰ باسالم للصلاة فيه، وكان مواظباً علىٰ مسجد الحبيب محمد بن عمر، والثاني عاتبني علىٰ عدم مجيئي إلىٰ عزلة مسجد السلطان، فرجع يتردد إلىٰ مصلىٰ باسالم ويدرّس بكرة السبت في العزلة المذكورة امتثالاً لأمرهما، وكان العتاب من المذكورين بعد وفاتهما رضي الله عن الجميع وعَنّا بهم، ويدرس بعد صلاة الظهر كل يوم بعد رجوعه من الحرمين في مسجد طه، والقراءة في شرح صحيح مسلم للإمام النووي، وتحصل في مدارسه من المسائل النفيسة والأبحاث الدقيقة بحيث يقوم طالب التحقيق ولم يبق لديه أدنىٰ إشكال أو توقف أو سؤال.

وكان رضي الله عنه يذهب أحياناً إلىٰ السّحيل لتعليم المساكين، وكان يتنزل معهم في التعليم علىٰ قدر أفهامهم ويعلمهم ما يجب عليهم وما يُسَن حتىٰ كيفية آداب الخلاء وكشف العورة شيئاً فشيئاً، ثم رحل رضي الله عنه لنشر الدعوة إلىٰ الله وتعليم العلم النافع وإرشاد الخلق، فسار إلىٰ حريضة بطلب من القطب الرباني أبي بكر بن عبد الله العطاس والولي العارف بالله صالح بن عبد الله العطاس وبواسطة السيد الشريف الكريم محسن بن حسين ابن جعفر العطاس صاحب المسيلة والذي قام بكفايته، فاقبلوا عليه غاية الإقبال وأجلّوه غاية الإجلال وعكفوا عليه وتأدبوا بين يديه وانتفعوا به انتفاعاً تاماً، وتردد إلىٰ حريضة نحو خمس مرات، وعند مسيره إلىٰ حريضة أنشأ

شيخه العلامة محسن بن علوي السقاف قصيدة يحرّضه علىٰ الدعوة إلى الله ويوصيه بمكارم الأخلاق وكتب فوق طرّتها: هذه القصيدة نعني بها الولد محمد بن علي بن علوي بن عبد الله السقاف لما سار إلىٰ حريضة للدعوة والإرشاد. اهـ، وربما انشأ غيرها ولا بأس بإيرادها وهي:

يا جمال الدين يا نجل الخير ... سِرْ علىٰ اسم الله في نُجح الوطَرْ
دعوة الخلق وإرشادٍ لهم ... وِفقَ يا ذا ما به الله أمَرْ
صفوة الرسل وأكرم خلقه ... حسبما قد جاء في بعض السورْ
وتخلّق وتحقق بالذي ... به تحقق من مضىٰ قبلك ومَرْ
سادة سادوا علىٰ كل الورىٰ ... تابعوا في هَدْيهم خير البشر
أخذوا ما جاء عنه تركوا ... كلما عنه نهىٰ خوف الحذر
قد هداهم ربهم فاتبع لهم ... واقتدي يا ذا بهم واْقْفُ الأثر
فهُمُ حزب الإله المفلحون ... وغياث الخلق في حال العَسَرْ
رب فانفعنا بهم يا ربنا ... وقِنَا شر الرزايا والغِيَرْ
ذا ويا فرع الكرام الأصفياء ... جرّد القصد إلى الله وذَرْ
كل ماقد صدّ عنه واستعن ... به علىٰ ما ترجُ من نيل الوطر
واجعل الهمَّ عليه واحداً ... لترىٰ مِن لطفه ما قد بَهَرْ
واتَّقِه واشهد وراقب واخشَه ... وافرد القصد إليه والنظر
لا تعوّل في قضا ما تُرَجِّه ... دائماً إلاّ عليه يا أبر
ذا و مطلوبي الدعاء ياسيدي ... لي و أولادي ومن والىٰ وبَر
بصلاح البال والسير إلىٰ ... مَن نَدَاه سائر الخلق غَمَرْ
وصلاة الله تغشىٰ أحمدا ... ما تلىٰ تالٍ وما ذاكر ذَكَرْ
وعلىٰ آلٍ وصحبٍ ما دعا ... داعيَ الله وبالحق أمَرْ

ثم إن أهل حريضه أحبوه ووضع الله له من القبول والإجلال لديهم ما لا يوصف، وانتج فيهم تعليمه وأثمر غرسه، وقد ذكر مجيئه إلىٰ حريضة والأخذ عنه القطب العلامة أحمد بن حسن العطاس حين سأله تلميذه الشيخ الفاضل محمد بن عوض بافضل عن مشايخه فقال بعد ما ذكر بعضهم: وصل إلينا في تلك المدة إلىٰ حريضة السيد الشريف محمد بن علي بن علوي بن عبد الله السقاف من سيئون للدعوة إلىٰ الله ونشر العلم وتعليم أهل البلد وأهل الجهة وتردد إلىٰ حريضة نحو خمس مرات و حَصَل به نفع كثير للسادة وغيرهم وانتفعنا بمذاكرته وتلقينه وتقريره خصوصاً في علم الفقه، وحفظت عليه بعض المتون والرسائل، وكان آية من آيات الله في العلم والعقل والحفظ والإتباع للسلف والورع والإحتياط في الدين والأخلاق الحسنة، وتولىٰ القضاء مرات بسيؤن ولم ينقم عليه شيء من أحكامه أحد، وربما سأله السلطان الموافقة في بعض الحوادث فيمتنع وربما عزل نفسه لذلك، ويكفيه شاهداً علىٰ صلاحه وكماله أنه توفي ساجداً في صلاة الضحىٰ بمسجد سيدنا عمر المحضار بتريم لما أتىٰ لزيارة السلف رحمه الله. وقال أيضاً: كان الحبيب محمد بن علي إذا قرر الأقوال يقول: العمل كذا وعمل السلف كذا، وكنت كثيراً ما أسمعه يقول: العمل عمل أهل المدينة، وحفظت هذه الكلمة وأنا صغير في نحو خمس سنين، وأسمعه يقول: السلف ما يحتاطون إلاّ في خصلتين: أبضاع النساء ما يتساهلون في العقود والأنكحة، وأموال الناس لا يأكلونها بالباطل ولا يتحيلون علىٰ أخذها، وباقي الأشياء ما يتقيدون بشيء فيها، وقد انتفعنا به كثيراً رحمه الله، وكنت متعجباً لمّا سمعت قول الحبيب أبي بكر بن عبد الله العطاس: الحبيب محمد بن علي إمام آل باعلوي يوم القيامة، حتىٰ حصل له ما حصل من الانتقال في صلاة الضحىٰ بمسجد سيدنا عمر المحضار. وقال أيضاً نفع الله به: لما طلع

الحبيب محمد بن علي إلىٰ حريضة كان الحبيب صالح بن عبد الله العطاس ملازماً له وحاملاً كتابه خلف الحبيب محمد يقرأ عليه في شرح الرحبيه، والحبيب محمد قرأ على الحبيب صالح غالب كتاب العلم من الإحياء في ليلة. انتهىٰ ما وجدته من كلام الحبيب أحمد بن حسن العطاس من الكتاب الذي جمعه تلميذه الشيخ محمد بن عوض بافضل من مواضع متفرقة.

وسار رضي الله عنه إلىٰ دوعن للنفع والانتفاع والأخذ عمّن بها من العلماء الأفاضل، مثل الشيخ العلامة عبد الله بن أحمد باسودان وابنه الفهامة محمد بن عبد الله، فلما وصل إلىٰ الخريبة فرح به الشيخ عبد الله وسُرَّ بقدومه وابتهج به، وقد ذكر الحبيب علي بن محمد بن حسين الحبشي يحكي عن الجد محمد قال: قال لي العم محمد بن علي لما قدمت علىٰ الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان خرج بي ذات يوم إلىٰ نَخْلِه وطاف بي فيه ولما أصبحت قال لي: يا حبيب محمد البارحة طُفنا بك في زراعة الدنيا واليوم نطوف بك في زراعة الدين، ثم قام ودخل بي علىٰ حِلَق طلبة العلم وقال: هذه زراعة الدين. انتهىٰ.

وأقام رضي الله عنه بدوعن يفيد ويستفيد ويُمِد ويستمد، ثم طلب الإجازة والوصية من الشيخ عبد الله المذكور فأسعفه بمراده، ولكن ضاع أولها وآخرها ولكن الميسور لا يسقط بالمعسور، وسأثبت ما بقي منها مع وصية من ابنه محمد فيما بعد، ثم رجع إلىٰ وطنه المأنوس وقد حنّت إليه الأرواح واشتاقت له النفوس، وكان رضي الله عنه قد أمضىٰ زمنه في نشر الدعوة إلىٰ الله وإبلاغ العلم ونشره وإرشاد الخلق كافة، وكان يتنقل إلىٰ البلدان حتىٰ سار إلىٰ البنادر وغيرها حتىٰ كَثُر الآخذون عنه، وقلما نتفق بأحد من العلماء الذين أدركوه من أي ناحية كانوا أو يتفق به أحد من قرابته إلاّ ويذكر أنه أخذ عنه وقرأ عليه وانتفع به.

ورحل رضي الله عنه إلى الحرمين الشريفين فحج واعتمر وزار سيد الكونين وفي صحبته ابنه حسن، فأخذ عمن بهما من العلماء المحققين والأولياء العارفين، وكانت هذه أول حجة له، ثم حج ثانياً سنة ١٢٨٤أربع وثمانين ومائتين وألف وفي صحبته ابنه الوالد سالم وأخوه في الله وصديقه الأخص الحبيب عبد الرحمٰن بن علي بن عمر بن سقاف وجماعة من السادة وغيرهم، وساروا طريق البر إلىٰ عدن وما والاها ولقوا في ذلك السفر جماعة من السادة العارفين والعلماء والأولياء والصالحين من أهل زبيد واليمن وغيرهم فأجازوا واستجازوا وأمدوا واستمدوا وحصل من كلٍ التلقي، ثم قدموا مكة وقابلهم أهلها بالتأهيل والإكرام والتبجيل والاحترام وحصل الأخذ والتلقي من الجانبين، وكان بها من العلماء الصدور جم غفير وعدد كثير، منهم السيد الشريف مفتي الحرمين الحبيب محمد بن حسين الحبشي، وشيخ المسلمين شهاب الدين أحمد بن زيني دحلان، والعارف بالله ذو الشرف والفضل فضل بن علوي بن سهل، والسيد الفاضل الحبيب محمد بن محمد بن محمد السقاف، ثم توجهوا إلىٰ طيبة المطيبة بالسيد الأمين ذي الخلق العظيم ﷺ فوردوا تلك البلاد وقصدوا ذلك الجناب حضرة النبوة المحمدية ومهبط التنزلات الرحمانية والنظرات الربانية، فسلموا عليه بأفضل سلام وردّ عليهم التحية وأمدهم بمزيد الإنعام، وهبّت عليهم من الحبيب نفحات النسيم، وسقاهم كأساً كان مزاجها من تسنيم، وأقاموا بها مدة من الزمان وأخذوا عمن فيها من أولي العلم والعرفان، مثل الإمام العارف بالله عمر بن عبد الله الجفري، والشيخ الجليل الفاني في محبة رسول الله ﷺ وأهل بيته محمد بن محمد العزب، وغيرهم من أهل الحرمين ومن الواردين، ثم بعد انقضاء المآرب وحصول المطالب رجعوا إلىٰ الوطن.

ثم حج رضي الله عنه حجة ثالثة سنة ١٢٩١ إحدىٰ وتسعين ومائتين وألف وفي صحبته ابنه الفاضل علي وجماعة من حضرموت، ولقي في هذه الحجة من أكابر العلماء وأساطين الدين عدداً كثيراً، وحصل له ومنه ما يشفي ويروي، وفي هذه الحجة سار طريق البحر، أخبرني العم الفاضل محمد بن محمد قال: دخلت علىٰ الشيخ علي حميش في المكلا في سفرة سافرتها فجرى الكلام في ذكر الوالد محمد، فقال الشيخ علي المذكور: إن والدك الحبيب محمد بن علي وصل إلىٰ المكلا وبمعيته ابنه الحبيب علي وجملة من الناس يريدون الحج، فقال الحبيب محمد: لا نركب في سفرنا هذا إلىٰ الحج إلا في مركب ما فيه كافر، فقالوا له: المراكب كلها ما تخلوا منهم، فأعاد عليهم مقالته، ثم إنهم توجهوا إلىٰ عدن ودخل شهر الحجة وهم في عدن وضاق الوقت وتصعبت العبرة وخشوا فوات الحج، فخرج الحبيب محمد لزيارة القطب أبي بكر بن عبد الله العيدروس العدني مستغيثاً به في حصول الفرج، فما رجع من عنده إلا بالبشرىٰ وحصلت الإشارة بالقبول وتيسير العبرة، فوصل مركب مُلك قريبه وابن عمه السيد أحمد بن عبد الرحمٰن ابن علوي السقاف ولمْ يكن في المركب أحد من الأفرنج كلهم من أهل الإسلام حتىٰ النوخذا الذي يُمشي المركب، فركب فيه هو ومن معه وتوجه بهم إلىٰ جدة، فلما وصل جدة وجدَ بها صاحب المركب السيد أحمد المذكور، فتلقىٰ الحبيب محمد وفرح به وسُرَّ بوصوله وركوبه في مركبه وأنزله المنزل اللائق به وأكرمه بنحو أربعمائة أو خمسمائة ريالاً وأعطاه كسوة فاخرة، ثم طلب منه أن يُبقي المركب في المرسىٰ إلىٰ وقت رجوعه ليكون السفر إلىٰ الوطن فيه، فأسعفه بمراده، فتوجهوا إلىٰ مكة ونسكوا المناسك وفرغوا مما يطلب هنالك، وأدركوا مزيد الإنعام ومزايا الإكرام، ثم رجعوا إلىٰ جدة فوجدوا أهل المركب في انتظارهم، فتوجهوا فيه إلىٰ

المكلا، ثم رجع إلىٰ وطنه سيؤن وألقىٰ عصا التسيار واستقر به القرار، وجلس علىٰ عادته للتدريس في كل علم نفيس، وطُلِبَ رضي الله عنه لوظيفة القضاء فأبىٰ وامتنع، فكلّف عليه شيخه القطب الحسن بن صالح البحر وألزمه، وكذا علماء الجهة رأو أنه الأحق وأن لا أحد يقوم بالقضاء مثله، فلما عَلِم أن لا محيص عنه ولا مَرَدَّ لأمر شيخه تقلّده، ولكنه أقام ناموس الشريعة المطهرة علىٰ نهج الصواب ووضع الأشياء في محالها وأتىٰ البيوت من أبوابها، وقد ذكر سيدي أحمد بن عبد الرحمٰن بن علي في ترجمة والده الحبيب عبد الرحمٰن بن علي حاكياً عنه في سبب تولية الحبيب محمد القضاء بعد حكاية طويلة ذكرها قال في آخرها: ولما حضرت صلاة الظهر حضر الحبيب حسن بن صالح البحر في مسجد طه وصلىٰ بالناس وتوجه ومعه الحبيب محسن بن علوي والحبيب شيخ بن عمر وكافة الحبائب إلىٰ بيت الأخ الفاضل محمد بن علي وكلّف عليه الحبيب حسن بن صالح في تولية القضاء فقبل التولية وحُمِدَت سيرته فيها. انتهىٰ.

وكان رضي الله عنه غيوراً يصدع بالحق ولا يخاف لومة لائم ولا سطوة ظالم، وكان يباشر رفع المنكرات بيده، بنىٰ بعضهم في أيام قضائه في شارع فأخذ منه قدراً يسيراً زاد به في بيته، فبلَغَه الخبر وأمر بهدمه، فقاومه بعض من له شوكة وقوة واتصال بالدولة وكان ذلك الباني مرتكناً إليه، فلما عَلِم رضي الله عنه أنه إذا لم يخرج هو يباشر إزالة المنكر بنفسه لا يزول خرج إلىٰ ذلك البناء وابتدأ في هدمه ولم يذهب حتىٰ هدم جميعه، ووقعت له في أيام ولايته قضايا كثيرة وتحصل من بعضهم المعاندة والمضادة له وربما قام السلطان مع ذلك البعض، ولكنه جبل راسخ لا تزعزعه العواصف ولا تحركه القواصف، وكل من عانده ردّ الله كيده في نحره والله غالب علىٰ أمره، وقد وقعت قضية في تريم بين بعض السادة وكل منهم أهل قوة وميل وارتكان

إلىٰ بعض الأجناد، وطال فيها الجدال والنزاع وحصل الاختلاف بين علماء تريم وطالت المشاجرة مدة طويلة، وحصل بسبب تلك الواقعة مقاتلة ومضاربة ونشر أسلحة، وكانت واقعة طويلة الذيل، ثم إنهم رفعوا الحكم إلىٰ سيؤن وكان واليها موافقاً لمن حَكَم بمقابل الصحيح ويجب أن يخرج الحكم بذلك لأمر ما، فجمع العلماء وأمرهم بذلك وتوعدهم فأحجموا، ثم أرسل لصاحب الترجمة الحبيب محمد وأمره أن يصحح علىٰ الحكم علىٰ حسب مراده فامتنع، فأغلظ عليه واشتد غضبه فأبىٰ ولم يبالي بكلامه ومقامه، ثم نهض قائماً وخرج ولسان حاله يقول: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ . الخ، ثم أرسل كتابة عزل لنفسه من القضاء، ثم تولىٰ القضاء ثانياً ومضت له مدة وهو يمشي علىٰ طريقته السابقة إلىٰ أن حصل له ما يزعجه عن القضاء فعزل نفسه، ثم تولىٰ نوعاً من الولاية بعد ذلك، وفي آخر الأمر تجرّد عن ذلك، ولما صار القضاء بعد ذلك إلىٰ تلميذه الجليل الحبيب صافي بن شيخ بن طه بعد الإمتناع منه وتكليف مشايخه عليه تكفّل له شيخه الحبيب محمد بن علي أن يعينه ويقوم معه ويحل له كل ما يُشكل عليه، فهانت عليه ولاية القضاء وقام بها أتم قيام وحُمِدَت سيرته وشُكِرَت ولايته ومشىٰ علىٰ أحسن نظام آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، ولم يشغله القضاء عن العبادة والتدريس فله من ذلك الحظ الوافر، وكان كثير التقييد والتعليق والإفادة والضبط لا تفارقه المحبرة ولا القرطاس، وله اليد الطولىٰ في نشر العلم والتعليم لأهل بلاده وغيرها فقد أقام مدة في عينات وتاربه وبور وحصل به نفع عظيم، وكان يُضرب به المَثَل في الورع والصدق والعدل والتحري والأمانة، وبقي علىٰ الحالة المرضية إلىٰ أن دعاه مولاه فلبّاه وتوفي لليلتين مضتا من ذي القعدة سنة ١٣٠٠

ثلاثمائة وألف، وصلىٰ عليه شيخه الحبيب محمد بن علي في ساحة طه قبلي المسجد لكثرة المصلين والمشيعين رحمه الله وإيانا آمين.

ولنرجع إلىٰ ذكر الحبيب محمد بن علي فنقول: حُملت إليه أيام ولايته الهدايا و الرشوات فردها ولم يقبل منها شيئاً، ويزجر كل من يرسل إليه شيئاً ويُظهر له المشقة والكراهية، أهدىٰ له بعضهم لحماً فلم يجده في البيت فأعطاه أهله فقبلوه وطبخوه، فلما جاء بعد صلاة العشاء قدّموا له عشاه وفيه ذلك اللحم، فقال لهم: من أين لكم هذا؟ فقالوا: أهداه فلان لك فلم يجدك، فقال: ردوه إليه، فقالوا: إنه مطبوخ ونحن لنا مدة من اللحم، فقال: لا بد من ذلك، فردّوه، ثم إن المُهدي المذكور بعد أيام دخل دعوىٰ علىٰ غيره. ومرة أتىٰ إليه بعض البدو في دعوىٰ وأعطىٰ أهل بيته أغطية من خوص من غير علم منه، فلما دخل علىٰ أهله أخبروه بذلك، فقال: إما ردوهن وإما أعطوهم شيئاً في مقابل ذلك. وأمثال ذلك كثير رضي الله عنه.
وكان مجلسه للحكم في المسلمان وهو حائط قريب من مسجد طه، وإذا جلس للحكم لايفرّق بين قريب وبعيد ولا بين شريف ووضيع بل يسوّي بين الخصمين كما هو السنة في ذلك، جاء إليه مرة بعض السادة من آل العيدروس من بور ومعه بعض الجُند من آل باجرَيْ فجلس السيد إلىٰ جانبه والجندي متأخر عنه، ثم تكلّم السيد وقال: يا عم محمد جئنا معنا دعوىٰ في حيله ونريد أن تحكم بيننا فيها، فقال له الحبيب محمد: إن أردت الحكم أخرج إلىٰ عند الجندي أو يطلع هو إلىٰ عندك، فقال العيدروس: تجعلنا في رتبة هذا الجندي؟ فقال له: لا بد من ذلك، فقال: يا عم محمد حيله با تخرجنا من مجلسي هذا وباتنزل رتبتي إلىٰ رتبة الجندي مَالي قصد بها. . إشهد بأنها هِبَة له، فقال الجندي: وأنا يا حبيب محمد إن كانت حق السيد فهي حقه وإن كانت حقي فهي هِبَة للسيد، فخرجا وهما راضيان كأن لم يكن بينهما

شيء، وفي الأثر: من أرضىٰ الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضىٰ عنه الناس.

وكان رضي الله عنه أيام ولايته إذا طلبت منه الأرملة العاجزة أو المعذورة أن يجيء إلىٰ بيتها لِتَبُثَ له شكواها أمرَ زوجته أن تذهب إليها صُحبته ويقدمها وتبقىٰ عندها إلىٰ أن يخرج، ومع ذلك يأمر زوجته أن تحمل لها قدراً من السكر والبُن لإصلاح قهوة عندها إدخالاً للسرور عليها، وهذا عمل الحبيب سقاف بن محمد أيام ولايته للقضاء كما ذكر ذلك ابنه حسن في مناقبه التي جمعها، فرضي الله عن الجميع.

وكان رضي الله من محاسن سيئون حاذقاً في علم القضاء والفُتيا، ولم يشغله القضاء عن نشر العلم والنفع العام والإفادة والاشتغال بالعبادة والمذاكرة، وكان إذا حصل له أنس وانبساط في مجالس العلم مع تلاميذه وخواصه يُخرج ما عليه من الثياب ولايبقي إلاّ الإزار والكوفية، وإذا برز جسده لهم يرونه كأنه سبيكة فضة لِمَا يرون عليه من النعومة والصفاء، ومع ذلك لا يأكل لذيذ الأطعمة بل كان متقشفاً في مأكله بل ربما يصبغه بالماء القراح ولكنها صحة الطاعة والعبادة، وكانت المذاكرة في العلوم غذاء لا يمل ولا يعتريه عجز ولا كسل، وإذا حصل في بعض المسائل الغامضة مراجعة وبحث ثم ظهرت استنار وجهه، سمعت السيد الشريف علي بن عبد الرحمٰن بن سهل يقول: كنت أيام إقامتي بسيؤن لطلب العلم احضر درس العم محمد بن علي في مسجد طه، فجلست ذات يوم فعُرضت مسألة غامضة خفية فبقي العم محمد بن علي يبحث عنها ويُنَقِّب عن مضانها ثم ظهرت له ووضحت، فلقد رأيت وجهه استنار حتىٰ كأنه ورقة مصحف فرحاً بظهورها. وكان رضي الله عنه مُشغفاً بالكتب ينوّه بشأنها ويحرّض علىٰ مطالعتها، أخبرني الشيخ العالم الناسك عمر بن عبيد حسان أنه سمع

الحبيب محمد بن علي يقول: الكتب خيول مُسرجة مُلجمة تطلب أحداً يركب عليها. وكان كثيراً ما يرغِّب أهل البيت و غيرهم في طلب العلم والجِد والاجتهاد في تحصيله، وقد ألّف رضي الله عنه نبذة في ما يحتاج إليه الإنسان في علم الفرائض والنكاح والجنايات، ذكر في أولها مقدمة في الحث علىٰ طلب العلم وأملىٰ جملة من الأحاديث وأقاويل العلماء في الترغيب في ذلك، وكان يحب طلبة العلم ويكرمهم ويباسطهم ويصبر علىٰ تعليمهم ويرفع أقدارهم، وكان رضي الله عنه مع اشتغاله بمطالعة العلوم ونشرها يتعاطىٰ بعض الأسباب مثل الخياطة، وكان يُخَيّط لنفسه ولغيره بالأجرة، وكذلك الحراثة والزراعة كان يحب ذلك وكان يخرج أحياناً ويأخذ آلات الحرث مثل الماهي وغيره بيده ويباشر ذلك، ربما مر عليه بعض أرباب المظاهر والدنيا وهو علىٰ تلك الحالة لا يبالي بهم ولا يمسك عما هو فيه حياء منهم بل يستمر في شغله ولسان حاله ينشد :

ما يُنْقِصُ الكَامِلَ من كَمالهِ   مَا جَرَّ مِنْ نَفْعٍ إلىٰ عِيالهِ

وكان رضي الله عنه مع ذلك يخرج بمتن الإرشاد معه ويكرر درسه وحفظه فيه حال اشتغاله ومباشرته للأسباب، واختياره رضي الله عنه الحراثة والزراعة علىٰ غيرها هو عمل كثير من السلف، قال صاحب المشرع: كان الحبيب عبد الله باعلوي يحب الزراعة ويكثر منها ويحث أصحابه عليها ويقول: هي أفضل المكاسب. اهـ. واعتمد ذلك محققوا المتأخرين كالشيخ ابن حجر و الرملي وغيرهما. ولما حج الجد محمد آخر حجة بنىٰ الوالد سالم سوراً علىٰ البير التي بها الحراثة لِمَا رأىٰ من الضرر من كثرة المارين بها لكونها علىٰ جادة الطريق، فلما رجع من الحج ورأىٰ السور المذكور لم يعجبه ذلك، وقال: أحب أن تبقىٰ غير مسورة لينتفع بها المار.. إما استراح تحت ظِل نخلها أو شَرِب من مائها أو أخذ شيئاً ألجاته الحاجة إليه

إلىٰ غير ذلك من الفوائد وكل ذلك لنا به حسنات، فرضي الله عنه وأرضاه، وكان ذلك منه رحمة بالضعفاء، ومن رحمته أيضاً بهم واعترافه لأهل العلم والفضل ما ذكره القطب الحبيب علي بن محمد بن حسين الحبشي في مجموع كلامه الذي جمعه السيد الشريف عمر بن محمد مولىٰ خيله، قال بعد أن ذكر ما حصل بالناس من الضنك الشديد في المعاش بسيؤن وأنه جمع ما جمع من أهل الخير والصلاح وأنفقه علىٰ أهل سيؤن ثلاثة أشهر كل نفر ربع مُصْرَى حتىٰ فرّج الله علىٰ الناس بالخريف، قال: جاء إليَّ عمي محمد بن علي السقاف وقال لي: يا ولدي هذه منقبة عظيمة فعلتها ما سمعنا بها في أهلنا الماضين إن أحد أنفق علىٰ أهل بلده كلهم، الله يجزيك عنا ألف خير فرّجت علينا، أَكَلنا قوتنا ونحن في أمان ولا أحد من أهل البلاد جائع.

وكان رضي الله عنه كريماً سخياً جواداً وكان قلّما يجد غرباء بمسجد جده طه إلاّ ويدعوهم للضيافة إلىٰ بيته ويكرمهم غاية الإكرام، وكان كثير التصدق علىٰ الفقراء والمحتاجين، ومن عادته أنه كل ليلة مع قيامه آخر الليل يستصحب شيئاً من المأكول يتصدق به لأول من يلقاه، وقد قال العلماء أنه يُسَن التصدق كل يوم، ولما زوّج بنت ابنه الوالد سالم علىٰ السيد الفاضل سقاف بن علوي بن حسن السقاف أمرهم أن يأتوا بما وضعه الناس من الدراهم والنقود والمُسمّىٰ بالطَّرْح، فأخذ منه الدراهم والعَدِّي جميعها وقال: هذا قسمي من الطرح، فتصدق به جميعه علىٰ نية البركة في الزواج، ويغلب علىٰ الظن أن الذي أخذه أكثر الطّرح لأن الريالات الفرانصة في ذلك الوقت لا يطرحها إلاّ الفذ النادر.

وكان رضي الله عنه كثير الاقتداء بجده عليه أفضل الصلاة والسلام في أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته، كان يخدم أهله ويرقع ثوبه بل ربما كانت

الرقعة مخالفة لِلَون الثوب الذي هو لابسه كما سمعت من سيدي أحمد بن عبد الرحمٰن بن علي يقول: رأيت في ثوب العم محمد بن علي رقعة سوداء مع أن ثوبه ذلك أبيض. اهـ، وعلىٰ ذلك درج كثير من السلف الصالح والصحابة رضوان الله عليهم.. فعلوا ذلك زهداً في الدنيا وتقذراً لها ولِمَا قذف الله في قلوبهم من النور الذي قال فيه عليه الصلاة والسلام «إن النور إذا دخل في القلب انشرح له وانفسح، قيل: وهل لذلك من علامة؟ قال عليه الصلاة والسلام: التجافي عن دار الغرور والإنابة إلىٰ دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله» وأما حالنا فهو السعي في طلبها والجِد والتشمير في جمعها علىٰ أي وجه كان من غير نظر في عاقبة الأمر فصرنا:

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا باقٍ ولا ما نرقعُ

ولكن نسأل من المولىٰ التوفيق والإعانه فنقول: اللهم يا من وفق أهل الخير للخير وأعانهم عليه وفقنا للخير وأعنا عليه، وسمعت سيدي أحمد بن عبد الرحمٰن أيضاً يقول: إذا ذكر الحبيب عبد الله حسين بن طاهر عند الحبيب علي بن محمد الحبشي بأنه تُستخرج من أفعاله فقط جميع الآداب النبوية والأوامر الشرعية ويجزم الجازم بأنه ما يلتفت لفته ولا يتحرك حركة إلاّ وهو تابع فيها جده عليه أفضل الصلاة والسلام يقول: كذلك العم محمد ابن علي والحبيب عيدروس بن عمر الحبشي تُستخرج من أفعالهما الآداب النبوية.. إلىٰ آخر ما ذكر.

ومن اقتداءه أيضاً رضي الله عنه ما سمعته من سيدي محمد بن هادي بن حسن السقاف يخبر عن والده العلامة هادي بن حسن أنه قال: كنا نقرأ علىٰ العم محمد بن علي وربما أمطرت السماء ونحن عنده فيقوم ويُخرج ثيابه ولا يبقي إلاّ الإزار، فيبرز للمطر ويقوم طلبة العلم ومن حضر درسه فيفعلون مثله، وإذا بدىٰ لنا جسده نراه يلمع لمعان الفضة ونراه في غاية من الصحة

والقوة، ومع ذلك لا يأكل أطايب الأطعمة بل أكله الخشن. اهـ، وقد كان ﷺ يفعل ذلك، روىٰ مسلم عن أنس رضي الله تعالىٰ عنه قال: «أصابنا المطر ونحن مع رسول الله ﷺ فَحَسر ثوبه حتىٰ أصابه المطر، فقلنا: يا رسول الله لم صنعت هذا؟ قال: لأنه حديث عهد بربِّه» (شعر).

تضـوع أرواح نجـد مـن ثيـابهـم عند القدوم لقرب العهد بالدار

وكان رضي الله عنه معظماً للعلماء والأولياء ومجالستهم ومحبوباً لديهم ويعظمونه ويثنون عليه بما هو أهله، كان الحبيب أبو بكر بن عبد الله العطاس يثني عليه ويجلّه وقلما يدخل سيؤن إلاّ ويأتي إلىٰ بيته، وقد ذكر الحبيب علي بن محمد الحبشي شيخه المذكور وقال: شرح لي حالات السادة آل سيؤن وأثنىٰ جداً علىٰ الحبيب محمد بن علي وقال: إشهدوا عَلَي أنه إمام آل أبي علوي يوم القيامة، ووجدت بخط صاحب الترجمة مِن آخر كتاب لأبي مَدين ما يدل علىٰ اعترافه بفضل الحبيب أبي بكر العطاس المذكور ما نصه: تمَّ كتاب التوحيد ونزهة المريد من كلام وحِكَم سيدنا وشيخ مشايخنا الإمام القطب العارف بالله شعيب بن عبد المحسن الشهير بأبي مدين نفع الله به وبعلومه آمين، ولها شرح عجيب غريب للشيخ أحمد بن عبد القادر باعشن نفع الله به، وجدنا الحبيب الإمام النبراس أبا بكر بن عبدالله العطاس مصطحباً له متع الله آمين بتاريخ ذي القعدة سنة ١٢٧٧، والشرح المذكور سماه «البيان والمزيد المشتمل علىٰ معاني التنزيه والتوحيد» اهـ.

ومن كلام العلامة الحبيب أحمد بن حسن العطاس حين ذكر أعيان الرجال الذين هم أوتاد الأرض قال: الحمد لله عاد نحن لقينا حضار في الوقت ولقينا جملة من الأعيان، وعَدَّ جملة من علماء تريم وأوليائها حتىٰ قال: ولقينا بسيؤن الحبيب محسن بن علوي والحبيب محمد بن علي، وذكره أيضاً في إجازة طويلة منه للشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني، وقد

ذكر هذه الإجازة الشيخ يوسف المذكور في الجزء الثاني من كتابه «جواهر البحار» فقال فيها: وفي تلك المدة ـ يعني سنة ١٢٩٥ ـ جاء إلىٰ حريضة السيد الشريف محمد بن علي السقاف من سيؤن للدعوة إلىٰ الله ونشر العلم، وانتفعتُ بمذاكرته وتلقينه وتقريره في دروسه، خصوصاً في علم الفقه، وحفظت عليه بعض المتون والرسائل، وتردد إلىٰ حريضة نحو خمس مرات وحصل به نفع كثير، وكان بمرتبة رفيعة من سِعَة العلم والحفظ والعقل والإتباع للسلف والورع والاحتياط والأخلاق الحسنة، وتولىٰ القضاء بسيؤن مرات ولم يُنقم عليه في شيء من أحكامه، وربما سأله السلطان الموافقة في بعض القضايا فيمتنع ويعزل نفسه، وكفاه شاهداً علىٰ كماله وصلاحه أنه توفي ساجداً في صلاة الضحىٰ بمسجد سيدي عمر المحضار بتريم لما أتىٰ إليها زائراً، وكان وصوله إلىٰ حريضة بواسطة الحبيب محسن بن حسين بن جعفر العطاس. انتهىٰ ما ذكره فيها وقد تقدم قريباً نحو هذا الكلام.

وأخبرني السيد الشريف عبد الله بن محسن مولىٰ خيله أنه قال: لما جاء خبر وفاة الحبيب محمد بن علي بتريم عزم والدي لحضور الصلاة وسِرت معه أمشي قبل مركوبه، فلما كنا قُرب مَرْيَمَه إذ أقبل علينا راكب خيل، فلما وصل إلينا وسلّم فإذا هو الحبيب علوي بن علي الحبشي يريد تريم لحضور الصلاة، فقال لي: اركب معي، فركبت وكنت آنذاك غلاماً شاباً، فلما كنا قريباً من تريم قال الحبيب علوي المذكور: لو مشى الإنسان علىٰ رأسه لحضور الصلاة علىٰ الحبيب محمد بن علي لما وفّىٰ بعُشْر معشار ما يستحقه مما هو أهله، فرضي الله عن الجميع ولا يعرف أهل الفضل إلا أولي الفضل.

وأخبرني السيد عبد الله المذكور أيضاً قال: سمعت الحبيب علي بن محمد الحبشي يقول: لما شرعنا في بناء الدار أتىٰ إلينا الحبيب محمد بن علي وسألنا عن كيفية البناء وعن المنازل فأخبرناه وقلنا له نريد منزلاً علىٰ

أربعة أسهم، فقال: يا علي اجعله على ثمانية أسهم ومع ذلك يضيق بك فإن مقامك إلىٰ ازدياد، فقال الحبيب علي: فلم يمكن لنا أن نفعل ما أمرنا به الحبيب محمد بن علي واستبعدت ما قاله، فلم تَطُل المدة حتىٰ كَثُر الواردون والأضياف وضاق بنا المنزل وذكرنا كلام الحبيب محمد، ثم بنينا المكان المسمىٰ أم الثمانية وجعلنا فيه ثمانية أسهم امتثالاً لأمر الحبيب محمد وبقية أعمدة المنزل سواري، وكان الحبيب علي بن محمد الحبشي يُعظّم صاحب الترجمة ويُجلّه، قال سيدي أحمد بن عبد الرحمٰن في ترجمته للجد محمد ابن علي: إن الحبيب علي بن محمد الحبشي يعظّم الحبيب محمد غاية التعظيم، وإذا مرض الحبيب محمد يأمر الحبيب علي تلميذه العارف بالله عمر بن حامد السقاف بأن يشتري اللحم ويشويه ويذهب به إلىٰ الحبيب محمد يقطّعه له ويطعمه إياه، وكان يتفقد مراعاته ويرى خدمته من أعظم القُرب، ولا يعرف الجوهرة إلا الجوهري. اهـ، ومن كلام الحبيب علي المذكور قال: كنا إذا رأينا الحبيب محمد بن علي نفرح به ونقول عاد فيه ما في سلفه من العلم والعمل والعقل، فلما جاء خبر وفاته بتريم بكيت عليه وبكت عليه سيؤن كلها.

وقال سيدي أحمد بن عبد الرحمٰن في ترجمته أيضاً في وصفه بالجملة: فإنه كان من الصدور الأئمة البدور، لا يلحقه ولا يعتريه في نشر العلم وفي العمل الخالص فتور، وانتفع به علماء عصره الذين نابوا من بعده وتصدروا لإقامة المدارس والفُتيا والقضاء في بلده، فكلهم عالة عليه ومبلغون عنه، وأخذ عنه الجم الغفير وانتفع به الكثير «إلى أن قال»: أجمع أهل زمانه علىٰ ولايته، وكان قليل اللغو حريصاً علىٰ حفظ اللسان بعيداً عن الفضول وما لا يعنيه، قانعاً بالكفاف زاهداً فـي الدنيا وجاهاتها، محباً للخمول والتواضع مع خوف وإشفاق ووَجَل في باطنه مع ما كساه الله من الهيبة والتعظيم

والإجلال علىٰ ظاهره، ولا نقدر نصف ما وهبه الله وأكرمه به وما حفظه عنه ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ والحمد لله الذي جعل لنا وداً في قلبه ومحبة منه وحناناً ورأفة علينا، وشفقة وتعليماً خاصاً وعاماً لدينا، وعناية بنا تامة ونظراً علينا. اهـ.

وقال لي سيدي محمد بن هادي السقاف: الذي اعتقده أن روح جدك محمد بن علي مطلقة وأنه مأذون له في التصرف وأنه يطلع ويطالع تركته، فاحرص يا ولدي علىٰ أن تجيء روحه وتجد همتك متعلقه بمعالي الأمور ومطالب الرجال الكمّل البدور، وأخبرني الشيخ المنوّر الصالح أحمد بن طه ابن علي باحميد ساكن مدوده قال: جئت مرة إلىٰ سيئون فدخلت علىٰ الحبيب شيخان بن محمد الحبشي فذكرنا الحبيب محمد بن علي عنده فقال: سمعت في بعض الليالي منادي ينادي ويقول: آل سيؤن في بركة محمد بن علي السقاف ولاهم داريين به، فخرجت من عند الحبيب شيخان المذكور وسِرت إلى عند الحبيب محمد بن علي وأخبرته بما قاله الحبيب شيخان، فقال الحبيب محمد مجيباً إلَي: مساكين مساكين. وسمعت الشيخ أحمد المذكور يقول: كنت اختلف إلىٰ عند الحبيب محمد بن علي في حياته، فلما مات مال القلب إلىٰ الحبيب حسن بن أحمد بن سميط بشبام، فتعجبت من ذلك الميل وبقي الخاطر معي، فلما كان ذات يوم جئت إلىٰ عند الحبيب حسن فأخبرته بالواقع، فقال: لا تتعجب الذي معي من الحبيب محمد بن علي ومن بركته، وأخبرك أنه لما مات الحبيب عمر بن محمد بن سميط أرادوا أن يجعلوني في محله وأنا لست أهلاً لذلك المقام، فحصل معي هَم وضيق من أجل ذلك، فخرجت من شبام وسرت إلىٰ سيؤن وقصدت عند الخال عبد الله بن محسن الحبشي وبتُّ عنده، فلما كان آخر الليل خرجت إلىٰ

مسجد الحبيب طه بن عمر، فلما دخلته وجدت فيه الحبيب محمد بن علي، فجئت إليه وجلست بين يديه وأخبرته خبري وشكوت ما حلّ بي، فقال لي: أبشر ولا تَخَف وارجع إلىٰ بلدك وستحصل لك الإشارة، فذهب جميع ما بي ورجعت إلىٰ شبام، فوصل إلينا بعد يومين الحبيب عمر بن حسن الحداد فلما اتفقت به ألبسني وأجازني، فالذي معي من بركة الحبيب محمد بن علي نفع الله به آمين.

وذكر الحبيب البركة شيخان بن علي بن هاشم السقاف المتوفى ببندر المكلا بعض العلماء العارفين الذين ماتوا في السجود وعدَّ صاحب الترجمة منهم، فلهذا استحسنّا نقل كلامه، قال رحمه الله ونفعنا به: أهل القلوب الصافية الرقيقة التي تحب الله وتحب خلقه هم أهل رجاء وخوف، والعارفون بالله أكثر خوفاً، وغالبهم يموت فجأة من خوف الله عز وجل لكمال معرفتهم به، مثل سيدنا عمر المحضار مات في السجود في صلاة الظهر، والحبيب عبد الله بن شيخ العيدرس والحبيب عبد الله بن علي صاحب الوهط صار قتيلاً من خوف الله عز وجل وأخذ ثلاثة أيام يتقيأ دماً ثم توفي رحمه الله، ومثل الحبيب محمد بن علي بن علوي بن عبد الله مات في السجود في مسجد سيدنا عمر المحضار، ومثل علي بن سالم ومثلهم وأمثالهم كثير ماتوا من خوف الله عز وجل، كما قال سيدنا الحداد.

يا سعد راح الوفا واهله وراح الجميل ... وراحوا القوم لي كانوا هداة السبيل

إلىٰ أن قال:

«رجال كانوا هُم العدَّة لحمل الثقيل».

والثقيل هو العقل، والعاقل لايزال خائفاً من ربه ولا يفارقه خوف الله حتىٰ يجوز علىٰ الصراط، فهذا شأنهم رضي الله عنهم ونفعنا بهم آمين.

وكان رضي الله عنه صبوراً علىٰ العامة مكافياً لمن أحسن إليه مُغضياً عمن أساء إليه متحملاً للأذى، سار مرة لزيارة العارف بالله الحبيب أحمد بن زين الحبشي فلما رجع ومر تحت ديار آل عبدات مسكوه وبمعيته ابنه الفاضل علي وغيره، وبقوا عندهم محبوسين ثلاثة أيام، قال سيدي علي: ولم يأكل الوالد في هذه المدة شيئاً من الطعام، وسبب حبسهم عندهم أنه حَصَل بين والي سيئون وبينهم شيء وأرادوا إغاظة الوالي فمسكوا من يعز عليه ومن هو ظاهر من رعاياه، ولكن بئس ما فعلوا بهم «والجاهلون لأهل العلمِ أعداءُ» ثم حصل لهم الفرج وخرجوا ولسان حالهم يقول: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ وقلّما يسلم ذو شرف وعلم وفضل من الأذى كما قيل:

لا يسلمُ الشرف الرفيع من الأذىٰ   حتىٰ يُراق علىٰ جوانبه الدمُ

وكان رضي الله عنه متباعداً عن ولاة الأمور فارّاً منهم ومن أعوانهم، وربما أتوا إليه في بعض الأحيان فيقول لأهل بيته: خطوا دائرة وقولوا ما هو هنا، يعني في الدائرة، وكان لا يقبل عطاياهم ومن أرسل له شيئاً ردّه، أخبرني سيدي العم محمد من محمد عن الشيخ علي حميش قال: لما حج الوالد محمد آخر حجة ووصل إلىٰ المكلا ونزل بها جاء إليه النقيب والي المكلا لزيارته والتبرك به فأطال عنده الجلوس، ثم قام إلىٰ منزل آخر من البيت ودعا بالأخ علي وكان مع الوالد في تلك الحجة فقال له: يا حبيب علي اطلب من فضلك أن تكلّم والدك يجيء إلىٰ هنا، فقام وأخبر والده بذلك فقام إليه، فقال له: يا سيدي شرفونا بقبول هذه الهدية لكم منا، وأخرج أربعين ريالاً وكساء، فغضب الوالد عند ذلك وزجر النقيب وقام حالاً وحذّر ابنه علي من قبولها، فرضي الله عنه وعنا به آمين.

وكان رضي الله عنه قد بلغ الغاية القصوىٰ والرتبة العليا التي تتقطع دونها الأعناق تحسراً، وهي خطاب النبي ﷺ في هذه الدار قبل تلك الدار،

سمعت شيخنا العلامة سيدي محمد بن هادي بن حسن السقاف متّع الله به يقول: كنت احضر بالروحة في مسجد الحبيب طه بن عمز آخر العشية، ومن جملة ما قرأته فيها كتاب تنبيه المغترين للشيخ عبد الوهاب الشعراني، فقرأت فيه ذات ليلة أن من أخلاق القوم أنهم يصلون خلف النبي ﷺ وأنهم يسمعون رده السلام عليهم، حتىٰ قال في آخر الخُلُق: وأنه لا يبلغ أحد ذلك حتىٰ يعرف مائة ألف مقام وسبعة وأربعين ألف مقام وتسعمائة وتسعة وتسعين مقاماً، وكان المتصدر في المجلس العلامة العامل العم علوي بن عبد الرحمٰن السقاف، فقال لي: يا محمد قِف لا تقرأ في هذا الكتاب اقرأ في كتاب آخر يعرفونه ويقدرون بالعمل ببعض ما فيه، كل ليلة تقرأ لنا ومن أخلاقهم ومن أخلاقهم، الكتاب وما فيه بجانب والناس بجانب آخر، أين الناس من هذا الخلق الذي فيه مخاطبة النبي عليه الصلاة والسلام ومن غيره من الأخلاق، قال سيدي محمد: فسَكَتُ ساعة وبقيت واقفاً، ثم رجع العم علوي وقال لي: يا محمد اقرأ في هذا الكتاب الناس معهم نفوس رافعة أنف في السماء وأست في الماء، الأقل من معه نفس ويظن أنه علىٰ شيء إذا سمع القراءة في هذا الكتاب يطرح لي معه، ثم إني بعد خروجي من الروحه طلعت إلىٰ عند الوالد هادي وكان من عادته إذا حضرت مدرساً أو مجلساً يسألني هل جرىٰ فيه شيء من المسائل، فلما وصلت إليه سألني هل جرىٰ في الروحة شيء، فقلت له: نعم، فأخبرته بالذي جرىٰ من العم علوي بن عبد الرحمٰن فقال: يا ولدي هذا المقام الذي ذكره الشعراني في هذا الخُلُق ما هو بعيد وطريقه سهلة: العمل بظاهر القرآن، إذا عمل الإنسان بظاهر القرآن مثل قوله تعالىٰ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟﴾ ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾ ﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾.. إلى آخر الآية، ونظائر

ذلك التي تظهر لكل إنسان ولا يحتاج إلىٰ تفسير، إذا عمل بذلك الشخص صَفَت سريرته ونارت بصيرته وأفاض الله عليه من فيوضات فضله وفتوحات قُدسه، بشاهد قوله تعالىٰ: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾. ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ثم تنطوي له تلك المقامات التي ذكرها الشعراني ويبلغها ويجاوزها، وأخبرك يا ولدي لما حج شيخنا الحبيب محمد بن علي وزار جده المصطفىٰ عليه أفضل الصلاة والسلام وواجه قبره الشريف وقال له: السلام عليك يا رسول الله، ردّ عليه المصطفىٰ من قبره الشريف وقال: وعليك السلام يا ولدي يا محمد، وقد أخذت عليه الأخذ التام وقرأت عليه، وكان يقدمني علىٰ غيري ويقول: إن جدك العلامة عبد الرحمٰن ابن حسن شيخي.. إلىٰ آخر ما قال، فرضي الله عن الجميع وعنا بهم.

ثم إن خطاب النبي ﷺ قد بَلَغه كثير من السلف الصالح وأخبروا به وحدّثوا عنه، منهم سيدنا الإمام علي بن علوي خالع قَسَم، قال الحبيب عبد الله بن علوي الحداد في وصفه:

وبالشيخ من ردّ الرسول سلامه … وكان يصلي هكذا بدوامِ

وقال أيضاً:

«فمسَلِمٌ في المركعِ»

ردّ الرسول عليه مثل سلامه … يا شيخ، فأعجب بالفخار الأجمعِ

ومنهم الحبيب عبد الله بن علوي الحداد ومنهم الشيخ أبو العباس المرسي، قال التاج بن عطاء الله عن شيخه أبي العباس المذكور قال: صافحت بكفّي هذه رسول الله ﷺ، وكان يقول لأصحابه: أفيكم من إذا أراد الله أمراً في الوجود أطلعه الله عليه قبل أن يظهر؟ فيقولون: لا، فيقول: أفيكم أحد إذا سلّم علىٰ رسول الله ﷺ في صلاته سَمِعَ ردّ السلام عليه بإذنه؟ فيقولون: لا، فيقول لهم: ابكوا علىٰ قلوب محجوبة عن الله وعن رسول الله

ﷺ، ثم يقول: والله لو احتجبت عن رسول الله ﷺ لحظة في ساعة ليل أو نهار لما أعددت نفسي من جملة الفقراء، وغير هؤلاء كثير، فقد قال الشيخ ابن حجر في الفتاوىٰ الحديثية بعد ما ذكر شيئاً من نحو ما تقدم: جوّز ذلك آخرون وهو الحق فقد أخبر بذلك من لا يُتَّهم من الصالحين، ثم قال في كتاب «المنقذ من الضلال» لحجة الإسلام الغزالي بعد مدح الصوفية وبيان أنهم خير الخلق: حتىٰ أنهم وهم في يقضتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء و يسمعون منهم أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد ثم يترقىٰ بهم الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلىٰ درجات يضيق عنها نطاق الناطق، ثم نقل الشيخ ابن حجر عن كثير ممن وقع لهم ذلك وأطال، وذكر مثل الشيخ الكبير أبي عبد الله القرشي والشيخ الجليل عبد القادر الجيلاني والشيخ أبي العباس المرسي والسيد علي وفا، ثم قال: والحكايات في ذلك عن أولياء الله كثيرة جداً ولا ينكر ذلك إلا معاند أو محروم. اهـ. وقوله: لا ينكر ذلك إلا معاند أو محروم فالأمر علىٰ ما ذكر واقع، فقد شوهد أن من أنكر عليهم مع نوع تعصّب ابتلاه الله بالانحطاط عن مرتبته وأذاقه الهوان والذلة وابتلاه بكل علّه، ثم لا تجد المنكِر إلاّ جاهلاً بعلومهم لم يتقن شيئاً من علوم المكاشفات ولا شَمّ لها رائحة ولا تربىٰ تحت يد شيخ ألقىٰ إليه زمامه، فنعوذ بالله من الخذلان ونسأله العصمة وأن يفيض علينا ما أفاضه علىٰ خواص عباده ويرزقنا حُسن الأدب معهم.

وإذا كنت بالمدارك غرّا ... ثم أبصرت حاذقاً لا تماري
وإذا لم تَرَ الهلال فسلِّم ... لأناس رأوه بالأبصارِ

غيره:

فما كل عين بالجمال قريرة ... ولا كل من نودي يجيب إذا دُعي
فقل للعيون الرمّد للشمس أعين ... سواك تراها في مغيب ومطلعِ

ولنرجع للمقصود فنقول: كان صاحب الترجمة رضي الله عنه ذا هيبة عظيمة من رآه بديهة هابه، وكان إذا خرج إلىٰ مسجد جده طه أو نحوه من الأماكن الشريفة انكفّ الناس عما هم فيه وسكتوا ويعتريهم من الإجلال والتعظيم ما لا يوصف، ومع ذلك يدخل وهو ساكت ولا يزجر أحداً، ولكنها هيبة ربانية وجلال إلٰهي.

أدب الوقار وعزّ سلطان التقىٰ وهو المطاع وليس ذا سلطانِ

وكان رضي الله عنه عُمرياً يَفْرَق منه الشيطان وليس له عليه سلطان، سمعت سيدي أحمد بن عبد الرحمٰن بن علي يقول: أخبرني الأخ الفاضل عمر بن عبد القادر بن أحمد السقاف قال: ذُكِرَ عند الحبيب محمد بن علي الدعاء المشهور الذي للشيخ محمد بن واسع وهو: اللهم إنك سلّطت علينا عدواً. . إلىٰ آخره، وأن من أتى به حُفِظَ من الشيطان، وأن الشيطان تمثّل للشيخ محمد المذكور فقال له الشيخ محمد: ما تريد يا عدو الله، قال: أريد أن لا تعلّم أحداً هذه الإستعاذة ولا اتعرّض لك، فقال: والله لا امنعها أحداً أرادها، فقال الحبيب محمد بن علي: نحن ما نحتاج إلىٰ هذا الدعاء، وإنّ علينا سوراً من الشيطان، يريد رضي الله عنه أنه من عباد الله المخلَصين الذين ليس للشيطان عليهم سبيل، وقد قيل: إن من تحلىٰ بهذه الثلاث الخصال فرّ منه الشيطان وخافه وهي: النية والخوف والإخلاص.

وكان رضي الله عنه قد تطرقه أحوال وتنزل عليه فتوحات، عطاء رباني ومدد صمداني، منها ما أخبرني الأخ المهذب السيد عبد القادر بن حسين بن سقاف عن السيد الشريف الناسك عقيل بن حسن الجفري قال: حصل للحبيب محمد بن علي فتح ومدد في مسجد السلطان بالرّواق النجدي الكائن بالضاحي تحت سقف العزلة وهو مستند إلىٰ جدار المنارة مستقبل القبلة، ومنها ما أخبرني الشيخ المنور شيخ بن طه باحميد قال: كنت ذات

يوم جالساً عند الحبيب محمد بن علي فإذا بوجهه قد أشرق نوراً، فأطرقت رأسي ولم استطع النظر إليه لِمَا عَلاَه وغَشِيَه من الجلال والنور واعترتني دهشة ووجَل، وبقيت علىٰ تلك الحالة إلى أن رجع إلىٰ حالته الأولىٰ رضي الله عنه ونفعنا به.

وكان رضي الله عنه قليل الأكل والشرب، بل أخبرني الشيخ الفاضل الفقيه عمر بن عبيد حسان عن الحبيب عبيد الله بن محسن أنه أخبره أنه سمع الحبيب محمد بن علي يقول: انقطعت عني شهوة الطعام ولا آكل إلا امتثالاً لقوله تعالىٰ ﴿كُلُواْ وَاشْرَبُواْ﴾ وقد تقدم قريباً أنه لما مسكوه آل عبدات لم يأكل عندهم ثلاثة أيام متوالية، وذلك وراثة من صاحب الشريعة المطهرة فإنه يبيت له طاعم يطعمه وساق يسقيه، وكان علىٰ هذا المنوال نقيب السادة العلويين في وقته الإمام أحمد بن علوي باجحدب والشيخ أبو محمد طلحة بن عيسىٰ الهتار اليمني كما ذكره في ترجمته الشرجي في طبقاته، فرضي الله عن الجميع.

وكان رضي الله عنه كثير العبادات كثير المجاهدات كثير الصيام، كان لا يترك صيام الست من شوال وصيام ثلاثة أيام من كل شهر وربما تحرىٰ أيام البيض وإن طلبه أحد لدعوة أجابه وأفطر ذلك اليوم جبراً لخاطره وإدخالاً للسرور عليه ويقضي ذلك اليوم ولا يتركه أصلاً، ويصوم الأيام الفاضلة المأمور بصيامها مثل عرفة وعاشوراء وتاسوعاء ولا يترك صيام تلك الأيام أصلاً، وإذا دخل شهر رمضان اجتهد في العبادة زيادة علىٰ العادة ويُكثر من التلاوة والأذكار والصلوات والاستغفار والصلاة علىٰ النبي المختار ولا يمضي ساعة إلا في طاعة، وكان رضي اَلله عنه كثير القيام بالأسحار كثير التهجد مع مناجاة وابتهال وتضرُّع والتجاء، وكان قيامه بمسجد جده طه، وإذا قام فيه آخر الليل استمر مشتغلاً بصلاته وتلاوته وأذكاره وأوراده إلىٰ طلوع الشمس ثم بعد ذلك يركع ركعتي الإشراق ويرجع إلى بيته ويقصد أولاً مَحَلْ دوابه وكانت له دابة أو دابّتان ثم يدخل إلىٰ المحل الذي فيه الغنم يتفقد الكل.

تفقّـــد الســـادات أخـــدامهـــا مكـــرمـــة لا تنقـــص الســـوددا
هـــذا سليمـــان علـــىٰ مُلكـــه قـد قـال مـالـي لا أرىٰ الهـدهـدا

ويخاف من قوله عليه الصلاة والسلام: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته» ومن بعد ذلك يطلع إلىٰ عند أهله ثم يرجع لإقامة المدارس وحضور المجالس، وبعد صلاة الظهر يخرج إلىٰ المسجد المذكور للتدريس في شرح صحيح مسلم للإمام النووي، وآخر العشية يجلس في الروحة في المسجد المذكور لقراءة كتب القوم في التصوف، وبعد المغرب يُحيي ما بين العشائين بالصلاة والقراءة، وكان حريصاً علىٰ عمارة المسجد المذكور وعلىٰ إقامة المدارس فيه والوظائف بسائر أنواع العبادات والقربات وكانت صلواته فيه.

وأما صفته التي فطره الله عليها: فهو أبيض اللون يضرب لونه كثيراً إلىٰ الحُمرة مقصداً مربوع القامة متماسكاً بادناً وسطاً واسع الصدر بعيد ما بين المنكبين أبيض الشعر كثّ اللحية ويخضبها بالحناء، وكان إزاره إلىٰ نصف ساقه.

وكان رضي الله تعالىٰ عنه آية في معرفة سَيَر الأسلاف وفي حِفظ أنسابهم كما بلغني ذلك عن سيدي أحمد عبد الرحمٰن، وكان رضي الله عنه علىٰ غاية من الإستقامة التي هي أعظم كرامة، بل قال الصوفية: إن الاستقامة خير من ألف كشف وألف كرامة، لأن نفسك تطالبك بالكرامة وربك يطالبك بالاستقامة، ومن ثَمَّ لم تظهر منه كرامات إلاّ عند الحاجة، منها ما سبق في أول الترجمة عند سفره إلىٰ الحج وقال: لا أركب إلاّ في مركب ما فيه أحد من الكفار، فقدّر الله مجيء مركب ابن عمه السيد أحمد بن عبد الرحمٰن بن علوي السقاف وليس فيه كافر، ومنها ما أخبرني به سيدي العم محمد بن محمد قال: سافرت سنة وكان المقدم في الجمّالة أحمد بن علي رجل

شائب من البادية فقال لي: يا حبيب محمد سِرت في ركب إلىٰ البندر وفيهم والدك الحبيب محمد بن علي، فلما كنا ذات يوم في أثناء الطريق عزمنا علىٰ المحط والنزول فقال الحبيب محمد: لا تحطون هنا امشوا إلىٰ ثَم، فقلنا له: ما شي ماء قبلنا، فقال لنا: أمشوا الماء قبلكم، فامتثلوا أمره ومشوا، فلما وصلوا إلىٰ محل فيه أشجار قال لهم: انزلوا هنا، قالوا: عَهدنا بهذا المكان ما فيه ماء، فقال لهم: الماء تحت تلك الأشجار وأشار إليها، فساروا فوجدوا عندها ماء كثير وباتوا بذلك المكان أحسن مبيت، فلما أصبحوا تزودوا من ذلك الماء، ثم قال أحمد البدوي المذكور: لما رجعنا من البندر نزلنا بذلك المكان فما وجدنا به قطرة ماء، فتعجبنا غاية وقلنا الماء الذي وجدناه سابقاً إنما هو كرامة للحبيب محمد بن علي، وكراماته كثيرة رضي الله عنه وعنّا به آمين.

وكان رضي الله عنه كثير الزيارة لمَشَاهد الأولياء العارفين والعلماء والصالحين، كان كثيراً ما يخرج لزيارة سيدنا المهاجر أحمد بن عيسىٰ، وأحياناً يخرج ليلاً بعد المطالعة ويرجع من ساعته، ويُكثر من زيارة تريم ومن بها مقيم، وأهل بشار حُماة الجار، ويدخل علىٰ الأحياء منهم مثل مشايخه وأقرانه الذين مَرّ ذكرهم أول الترجمة، ومثل الحبيب الولي أحمد ابن عمر المشهور، قال الحبيب عبد الرحمٰن بن محمد المشهور في وصفه نقلاً من مناقبه التي جمعها ابنه الإمام علي بتصرف واختصار: كان الحبيب أحمد هذا ولياً مجذوباً محبوباً وله حُسن ظن بمولاه وبخلقه وله كرامات خارقة، ويأتون إليه أهل الغيب مثل سيدنا الفقيه المقدم والسقاف والخضر وغيرهم «إلىٰ أن قال»: وفي بعض الأيام حضر مولداً عند المعلم سعيد باغريب عند وصوله من الحرمين، فأتىٰ إلىٰ عندهم الحبيب محمد بن علي السقاف من سيؤن ليزور الحبيب أحمد المذكور، فقام له الحبيب أحمد

وعارضه، فبعد ذلك قال له: لِمَ تقوم لي وتعارضني؟ استصغار لنفسه، فقال: لأن النبي ﷺ دخل معك ليحضر قراءة المولد فجلس عندي وقال لي ﷺ إنه قد حضر خمسة وعشرين مولداً في ذلك اليوم، وكل من قرأ مولده يحضر بروحه وجسده إلاّ إذا كان عندهم شيء من التنباك فلا يحضر. اهـ.

ويدخل صاحب الترجمة أيضاً ويزور الحبيب أحمد بن علي الجنيد، قال الحبيب عبد الرحمٰن المشهور في المناقب المذكورة في وصفه: كان الحبيب أحمد بن علي الجنيد عالماً ورعاً عاملاً حافظاً كريماً له اطّلاع تام علىٰ الأنساب وكان داعياً إلىٰ الله ومدرساً ينتفع به الخاص والعام مدة حياته «وأطال إلىٰ أن قال»: وكان يحب العلم ويعظّم أهله ويحب القراءة فيه حتىٰ أنه قرأ الأحياء ثلاث مرات وهو في حبس آل غرامة مظلوماً، وكان راضياً بما هو فيه ومستبشراً به، وكان يُرىٰ في تربة تريم يزور بالليل وهو في الحبس ويقول لمن رآه: لا تتكلم إلاّ بعد موتي، ولما توفي سيدنا الحبيب أحمد بن عمر بن سميط قال الحبيب محمد بن علي السقاف: اِغتممت لذلك فرأيت قائلاً يقول لي بالليل: ما بعد أحمد بن عمر بن سميط إلاّ أحمد بن علي الجنيد وارثاً حاله أو كما قال رضي الله عنهم، وقال فيه الحبيب أبو بكر بن عبد الله العطاس: أنه تولىٰ القطبية الكبرىٰ، توفي رضي الله عنه بتريم في عيد شوال سنة ١٢٧٥هـ. اهـ.

ويزور غير هؤلاء من رجال تريم وأقطابها ويزور معابدها ومساجدها، وأما زيارة نبي الله هود علىٰ نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام فقلما يتركها ويتخلف عنها، كان حريصاً عليها وعلىٰ إقامتها كثير الاعتناء بها ولا يتأخر عنها إلاّ لعروض أمرٍ مهم، وسار إلىٰ دوعن وزار من بها مثل الحبيب عمر بن عبد الرحمٰن البار والشيخ سعيد بن عيسىٰ العمودي وغير هولاء من السادة آل العطاس ومن جاورهم ممن في ذلك الوادي، فرضي الله عنه الجميع.

وكان رضي الله عنه يصفح عن كل من أساء إليه ولا يعتريه غيظ ولا غضب، ولكن إذا كان في جانبه، وأما إذا انتهكت حرمات الله فهو أشد الناس غضباً، أخبرني الأخ المهذب السيد محمد بن عبد الله بن علي عن جدّه سيدي العم علي بن محمد قال: إن السلطان طلب تمراً من نخل مسجد طه بإسم المكس، فامتنع السادة من إعطائه شيئاً، فأمر السلطان بأن يعطّل المسجد من العبادة فيه وجعل فيه بعض جنوده لمنع الناس من دخوله وأخلىٰ الجوابي من الماء وأغلق أبواب المسجد، فجاء الوالد محمد بن علي إلىٰ المسجد وفتح الأبواب وصعد إلىٰ المنارة فأذن ودعا الناس إلىٰ الصلاة، فجاء الحبيب عبد الله بن محسن والحبيب صافي ابن شيخ والحبيب علوي بن عبدالرحمٰن وغيرهم فملأوا الجوابي، وصلىٰ بهم الوالد محمد جماعة وقال: من تعدى علينا قاتلناه في سبيل الدين.

وكان رضي الله عنه يأكل ما وجد ولا يتميز عن أهل بيته بطعام ولا غيره، وما عاب طعاماً ولا عتب علىٰ أحد، وكان رحيماً بأولاده وأهل بيته شفيقاً بهم، يراعيهم ويسامحهم إن حصل منهم تقصير في حقه، ولا يطلب له حقاً عليهم مخافة أن يقعوا في شيء من العقوق، وكان يطلق لهم الإذن في ماله بالتصرف بما شاؤا كيف شاؤا ويوسّع عليهم ويتنزل معهم، وإذا حصل بين أهل بيته نزاع تلطّف بهم من غير غضب، يحب تراحمهم وتعاطفهم واجتماع كلمتهم واحترام بعضهم البعض.

وله رضي الله عنه من الأولاد الذكور خمسة، وهم: حسن وعلي وسالم ومحمد وعمر، أما حسن فقد ولد بسيؤن في شوال سنة ١٢٥٦ ست وخمسين ومائتين وألف، وهو أكبر إخوانه وتربىٰ تحت نظر أبيه فأقرأه القرآن ثم اشتغل بطلب العلم علىٰ والده وغيره من علماء القطر حتى أدرك من العلم ما يحتاجه في عباداته ومعاملاته، ثم سافر بمعية والده إلىٰ

الحرمين الشريفين لأداء النسكين وزيارة أشرف الثقلين، فحصل لهم هناك الأخذ والتلقي عن العلماء الأعلام هداة الإسلام ثم بعد انقضاء الوطر رجعا إلىٰ الوطن، ثم ما زال سيدي العم حسن يَدْأب في تحصيل الفضائل واقتناء الفواضل حتىٰ اشتاقت نفسه للرحلة والسفر اعتباراً في ملكوت الله وابتغاء من فضله، فطلب من والده الوصية والإجازة، فكتب له ذلك، وقد ضاع قدر يسير من أولها وهذا أول الموجود:

قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿يَـٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ أوصيك بها، وحقيقتها: امتثال أوامر الله واجتناب مناهيه، وحصرها في طاعة رسول الله ﷺ لقوله تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ عليك بمتابعته ﷺ، اِبحث واسأل عنها وحفظها السلف الصالح عن الإضاعة بالعمل، عليك بمتابعة السلف الصالح في العبادات والعادات.. الله الله فاقتد بهم واتبع آثارهم ولا تصغ لعاذلٍ صادٍ لك عن هَديهم.. الله الله يا بُنَي أَقِم الصلاة بخشوع وحضور وفي الجماعة ولو مع واحد، الحذر التساهل في الجماعة خصوصاً العشاء والصبح، الحذر الحذر حافظ علىٰ الجماعة يحفظك الله واْسعَ إليها وإن بَعُد مكانها ابتغاء مرضات الله، وحافظ علىٰ السنن خصوصاً المؤكد منها وعلىٰ الوتر ولو ثلاثاً وعلىٰ الضحىٰ ولو ركعتين، حافظ علىٰ ذلك فلا أقل من المحافظة علىٰ ما ذُكِر فلا تتركه وإن كنت في أعظم شغل مع إحسان لا تعجل ولا تنقص عن ثلاث تسبيحات الحذر، واحذر العدو يصدك عن ذكر الله فإنه أولاً يطالبك بترك العمل ثم إن لم تُجِبه يطالبك بالعجلة ثم إن لم تُجِبه أتاك بالعُجب المُحبط للعمل، إياك وتسويله وتزويره، واْشْعِر قلبك اطّلاع الله عليك في جميع أحيانك لقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ وقوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ﴾ إلىٰ قوله: ﴿إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾.

واعمل وأخلص لله وأشهد المِنّة لخالقك المُنعم عليك، وأشهد التقصير في العمل وأشهد أنك أفقر العباد إلىٰ عفوه وغفرانه وستره.

وواظب علىٰ ذكر الله تعالىٰ بالقلب واللسان في كل ساعة وأوان لا تغفل عنه ساعة، من ذَكَر الله ذَكَره لقوله تعالىٰ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ ولا تزال قائلاً «لا إله إلا الله» مستحضراً معناها وهو: نفي الألوهية عما سوىٰ الله وتنزيهه عما لا يليق بكماله وإثبات جميع صفات الكمال له، ولا تَشهد ضراً ونفعاً ولا عطاءً ولا منعاً إلا منه سبحانه وتعالىٰ، والكُل مُسَخّرون مقهورون تحت المشيئة ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ وإذا أوصل الله إليك علىٰ يد عبد من عبيده خيراً فاشكر الله واشكر المعطي بالدعاء له لمّا جعله الله محلاً للخير وأجراه علىٰ يديه، وحافظ علىٰ ذكر الصباح والمساء وأذكار الصلوات وعند النوم: تحمَدِ الله «ثلاثاً وثلاثين» وتُسَبّح الله «ثلاثاً وثلاثين» وتُكَبّر الله «ثلاثاً وثلاثين» وتستغفر الله «ثلاثاً وثلاثين»، واحذر الغفلة والعجلة في ذلك، وبعد الوتر: «أربعين مرة» لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، وبعد الضحىٰ: رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم «أربعين مرة»، وبعد ركعتي الفجر: يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت «أربعين مرة»، وبعد الفجر أيضاً: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم استغفر الله «مائة مرة»، واستغفر الله لذنبي سبحان الله بحمد ربي سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده، وألزم الاستغفار آناء الليل والنهار أقله بعد كل صلاة «ثلاث مرات» وكل يوم «مائة مرة» و«سبعين» بعد العصر كل ليلة مع قراءة حزب البحر، و«مائة» من لا إله إلا الله الملك الحق المبين بعد الظهر، وأكْثِر من الصلاة علىٰ النبي ﷺ وأقلها «مائة» كل يوم.

وأكْثِر اللجاء والتضرّع إلىٰ الله في جميع أمورك وحاجاتك تنجح مساعيك، وأحْسِن الظن بالله وحقق تحصيل ما رُمته وقصَدته منه مع الافتقار الدائم، وقِفْ ببَابه وناده بـ «يارب» كرّرها «خمساً» فإنه لا يرد من دعىٰ بها حَسَن الظن بالله، وأحْسِن الظن بالمسلمين واعتقد أنهم خير منك والتمس بركتهم واضمر الخير لهم ولا تحقر أحداً منهم ولا تعيّر أحداً منهم وقع في ورطة أو هفوة، واشكر الله الذي حَفِظَك مما ابتلاه، واسأل من ربك العافية من آفات الدين بسلامة القلب وخُلُوّه من الحسد والحقد والغِش وإضمار السوء لأحد من الأنام، وأشكر مُحسِنَهم وأعف عن مسيئهم، ولا تغضب ولا تُنَازع ولا تجادل ولا تُمَارِ وإن كنت محقاً.

وكُن حَسَن الأخلاق كثير الصمت لا تتكلم إلاّ في خير، اِغتنم دعوة النبي ﷺ في قوله: «رحِمَ الله امرأً تكلّم بخيرٍ فَغَنِم أو سَكَت عن شرٍ فسَلِم» وقوله: «مَن صَمِتَ نجا» «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»، واحذر الهَزْل والضحك واللجاج والخوض فيما لا يعني، ولو سُئِلتَ عن الخوض فيما لا ينفع لا تَخُض، واحتمل أذىٰ من آذاك ولا تَجْفُ من جَفَاك، وأعف عمن ظلمك وأحسِن إلىٰ من جاورت أو صَحِبت، وأحسِن إلىٰ من أساء إليك كما قيل:

وكافِ المسيء بخيرٍ ولا تكن مثله واصطبر للكربِ
وعمّاتك النخل كن مثلها لرامي الحجارة ترمي الرُّطَبِ

بالجملة أوصل إلىٰ الناس ما تُحِب أن يوصله إليك الناس، وتجنّب عن كل ما تحب أن يجنّبوه عنك.

وعليك بصحبة الأخيار وحب أهل الإيمان وخصوصاً أهل البيت محبتهم فريضة كذا مودتهم ولا تنقِص أحداً منهم، وابغض من بَغِضَهم لأن

من بَغِضَهم بَغِضَ النبي ﷺ وبُغضه ﷺ كفر، عليك بِحُسن الظن بالله وكن واثقاً به مستعيناً ومعتصماً به متوكلاً عليه، وأنزل حوائجك كلها به «إذا سألت فاسأل الله وإن ٱستعنت فٱستعن بالله» وانتصر بالله علىٰ من عاداك وفوّض أمرك إليه وحقّق أنه يُنيلك جميع ما تروم، وأجزل الهمة في طلب المعالي تَنَل كل المطالب، لأن الأمر كله خيره وشره نفعه وضره لله فلا تطلب نفعاً إلاّ منه ولا دفعاً إلاّ منه، وأدِمْ قرع بابه.

واجعل قصدك في سفرك الامتثال أمر ربك بالتفكر في آلاء الله وتعلُّم العلم واكتساب الآداب والنفع والانتفاع وابتغاء فضل الله وغير ذلك من النيات الصالحة وطلبُ الحلال لقوله ﷺ: «طلب الحلال واجب علىٰ كل مسلم» والقيام بكفاية الوالدين والإخوان وصلة الأرحام والإحسان إلىٰ الجيران والأيتام وبذل الفاضل فيما يُرضي الله خالق الأنام، وإذا فتح لك سبب لا تعتمد عليه ولا تركن إليه واعتمد علىٰ مُسَبِّب الأسباب.

واحذر الغفلة عن ذكر مولاك وعن فعل الطاعات وأجمِل في الطلب اجعل له وقتاً معيناً.. وباقي أوقاتك في طاعةٍ مِن تعلُّم العلم وتعليمه ومطالعته ومذاكرته وتلاوة القرآن وذكر الله، دُم علىٰ ذلك لا تزال لسانك رطباً بذكر الله مولاك قائماً وقاعداً ومضطجعاً منفرداً خالياً ومجتمعاً، الله الله في ذكر الله لأن الله جليس من ذكره فمن كان الله جليسه أمِنَ وسَلِم وغَنِم، واجعل لك ورداً من قراءة القرآن كل يوم ما تيسر، واصحب خَتمه ورتب المنجيات، وأكثِر من قراءة يسٓ عند كل مهم من جلب نفع أو دفع ضر وسورتي ألم نشرح ولإيلافِ قريش وآية الكرسي كل وقت وعند دخول المنزل والخروج منه وعند النوم وبعد الصلوات مع خواتيم سورة البقرة وسورة الإخلاص والمعوذتين فإن ذلك وقاية وكفاية وحِصن حَصين من المخاوف، وليكن من دعائك: اللهم إني اسألك بما سألك به نبيك آدم،

واسألك بما سألك به نبيك محمد ﷺ، واسألك بما سألك به أنبياءك وجميع خلقك، وبرحمتك الواسعة ونعمتك السابقة، أن تصلي علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، وأن تَهَب لي ولمن تحوطه شفقة قلبي من الخير ما لا يعلم علمه إلا أنت، وأن تصرف عني وعنهم من السوء ما لا يعلم علمه إلا أنت، وأن تعطينا من خير الدنيا وخير الآخرة ما نفذت به مشئيتك وتعلّقت به قدرتك وأحاط به علمك، وأكفنا شر ما هو ضد ذلك، وأكمل لنا ديننا وأتمم علينا نعمتك، وهَبْ لنا الحياة الطيبة والموتة الحسنة، وتولّ قبض أرواحنا بيدك وحُل بيننا وبين غيرك، وهَبْ لنا حقيقة الإيمان حتىٰ لا نخاف غيرك ولا نرجوا غيرك ولا نحب شيئاً سواك، اللهم ارحمني بترك المعاصي أبداً ما أبقيتني وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني، وصرّفني بحسن اختيارك لي، اللهم إني أنزل بك جميع حاجاتي وأنت خير منزول به، اللهم فرجك القريب ومعروفك الدائم وعاداتك الحسنة أن تصلي علىٰ محمد وعلىٰ آله، واجعل لي من كل همٍّ وغمٍ فرجاً ومخرجاً وارزقني من حيث لا احتسب يا أرحم الراحمين، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

وأوصيك بالصدق في جميع أمورك فهو المطيّة الموصلة المنجية إلىٰ جميع المقاصد والسُلّم إلىٰ أعلا المراتب، عليك به وعليك بالإخلاص لله وكل خير نتيجته التقوىٰ، عليك بتقوىٰ الله في السر والعلن والرضا والرخاء والفقر والصحة والسّقم، واشكر الله في كل حال من جميع الأحوال، فهو يستحق الحمد والشكر لذاته فكيف علىٰ ما أسداه من النِّعم التي لا تحصىٰ، فالشكر يوجب المزيد ويرضي الرب الكريم المجيد، وجِد واجتهد في طاعة مولاك وتفكّر في مصنوعات الله في ملكوت السموات والأرضين، واعتبر بما جرت به عادة الله في خلقه من إعزاز أهل الطاعة بالغنى الحقيقي الذي هو غنى النفس وتولي أمرهم وتسخير خلقه لهم وإذلال أهل المعصية وإنجاء

أهل الطاعة من الأعداء وجميع المخلوقات وإهلاك أهل المخالفة والعصيان، والآخرة خير وأبقى للمتقين، ولعذاب الآخرة أشد للفجار، واجعل نظرك عِبرة وسكوتك فِكرة ونطقك ذكره يكن لك ناصراً وحافظاً.

ويا حَسَن حَسَّن الله عاقبتك وأهّلك لكل كمال.. الله الله في التقوىٰ كما قال النبي ﷺ: «اتّقِ الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخُلُقٍ حسن» الخير كله في حُسن الخلق عليك به عليك به فإن حَسَنَ الأخلاق قريب من الله قريب من الجنة بعيد من النار، واحذر سوء الخلق فإن صاحبه بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار، واحذر الغش والخيانة والحسد والكبر والرياء والعجب وإضمار السوء لأحد من أهل لا إله إلا الله واضمر الخير لجميعهم، وإذا لقيت من ترجو النفع منه أو تخاف ضراً منه فقل: اللهم إني أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره. وإذا طرقك همٌّ أو خوف أو ضيق فقل: حسبي الله لا حول ولا قوة إلا بالله.. فإنه الدواء النافع كما في الحديث، وإذا نزلت محلاً صباحاً أو مساءاً فقل: أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عينٍ لامة، أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه ومن همزات الشياطين وأعوذ بك ربي أن يحضرون، أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق «ثلاثاً»، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم «ثلاثاً»، اللهم أنت ربي «إلى قوله» صراط مستقيم، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم «سبعاً»، استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه رب اغفر لي «سبعاً وعشرين مرة» يقال بعد صلاة الصبح، واضب عليها واجعلها أول حصن تتحصن به ودافع تدفع الأعداء وشرّ كل ذي شرّ، بذا جاء في الحديث.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وعليك بالإحسان في كل شيء من الدين والدنيا وعبادة وعادة وأخذ وعطاء وقبض وبسط، وعليك بالرفق وبسط الوجه والبشاشة عند لقاء الإخوان، وعليك بالأدب مع الله بترك الاعتراض وبالرضا بِمُرِّ القضاء وبالتسليم لأمره وبالتفويض له، وعليك بالتأني والتثبت واحذر العجلة، وذرِ المعاصي كلها لا تقرب شيئاً منها صغيراً وكبيراً فإن الشر فيها كله وهَوَان الدنيا والآخرة والبعد عن الخير كله، وعليك بالوقار والسكينة، ولا تدخل في شيء من الأمور حتىٰ تشاور من هو أعرف منك، واقبل نصيحة من نصحك وإن كان أصغر منك، ووقّر الكبير وارحم الصغير، وجالس العلماء واطلبهم واستفد منهم، وإذا كلمك واحد بكلام تعرفه فلا تقطع كلامه ولا تقل قد سمعته.

وأجزتك في تعليم العلم وتعلّمه ونشره لمن يجهله ومذاكرته ومطالعة الكتب مع الأدب والتعظيم، وأجزتك أيضاً في قراءة الحزوب والأوراد والأدعية والأذكار الواردة عن النبي ﷺ وعن السلف الصالح والمطْلَقة والمقيدة، وأجزتك في جميع ذلك إجازة مطلقة في جميع ذلك أي وقت حسب الاستطاعة والفراغ، بارك الله فيك.. والله خليفتي عليك واستودعه ذاتك وصفاتك ودينك وأمانتك ومالك كلما تحركت وسكنت وأصبحت وأمسيت ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًاۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد عدد ما في علم الله كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون والحمد لله رب العالمين.

ثم من تأمل هذه الوصية الجامعة وعرف نفاستها عَلِمَ أن قدر صاحب الوصية عند والده بالمحل الأسنىٰ والرتبة القعساء، ثم إنه رجع من سفره وعاد من أوبته وبقي ملازماً سيرة سلفه الصالحين يترقىٰ في محاسن الأفعال وحميد الخِلال إلىٰ أن آخترمته المَنون شاباً أنظر ما يكون، وتوفىٰ بسيؤن وصلىٰ عليه والده ودُفِنَ عند أسلافه، رحمه الله وإيانا آمين.

وأما علي فهو ذو الخلق العظيم والقلب السليم والآداب السَّنّية والسيرة المرضية، ولد بسيؤن في شهر رمضان سنة١٢٦٢ مائتين وألف واثنتين وستين، وقرأ القرآن العظيم وتربىٰ تحت حِجر أبيه وحطّ نظره عليه وأخذ عنه وقرأ عليه، وكان والده يحبه غاية المحبة ويأمر أخوانه بامتثال أمره، وجَعَله الوصي والخليفة من بعده، قال في وصيته لجميع أولاده: وأوصي كل أولادي بامتثال أمر ابني علي ومتابعة ما يُشير به عليهم في خاصِّهم وعامِّهم ففي ذلك الخير والبركة، وأخذ أيضاً عن بعض أقران والده وتلاميذه، مثل الجهبذ العلامة عبد الرحمٰن بن علي والعلامة العامل صافي بن شيخ وغيرهم ممن بحضرموت ودوعن مثل الشيخ محمد بن عبد الله باسودان، وقد حصلت منه الوصية والإجازة له ولإخوانه حسن وسالم وغيرهما وستأتي فيما بعد عند ذِكر الشيخ محمد المذكور، وانتفع بهم وتأدب عليهم، واعتنىٰ بعلوم الصوفية مع الزهد في الدنيا، كان متقللاً منها قانعاً بالكفاف، مواظباً علىٰ السنن الشرعية والسيرة المحمدية، واسع الصدر حَسَن الخلق محباً للعلماء معظِّماً لهم، كثير القيام والصدقة والصيام، وَصولاً للأرحام محباً للمساكين، وكان قد حج بيت الله الحرام وزار جدّه عليه أفضل الصلاة والسلام مع والده سنة ١٢٩١، ثم حج بعد وفاة والده مراراً وحصل له هناك الأخذ عن الأئمة الأعلام، ثم أقام بوطنه ونفع بها، وقد انتفعتُ به وأخذتُ عنه وقرأتُ عليه وألبسني وأجازني وألبس وأجاز غير واحد في تلك الجلسة، وطلب بعضهم منه الوصية فكتبها له ومن أثنائها قوله: أوصيه أن يتخلق مع الصغير والكبير والعبد والحر والأهل والإخوان وينبسط مع الكل ويوقّر الكبار ويرحم الصغار ويعتني بتلاوة القرآن وبالأوراد والأذكار والقيام بالأسحار والمبادرة بالصلوات في الجماعات في أول الأوقات مع حضور حالة التلاوة، والجد والاجتهاد في طلب العلم ومزاحمة أهله ومدارسته

وحفظ السيرة وصلاح السريرة وخفض الجناح ولين الكلام والتواضع للمؤمنين. اهـ.

وكان الحبيب علي بن محمد الحبشي يثني عليه ويقول: إن سر العم محمد بن علي وحاله مع ابنه علي، كما أخبرني بعضهم بذلك، وللشيخ محمد بن محمد باكثير قصيدة طويلة تعرّض فيها لمدح المترجم له ووالده الحبيب محمد بن علي، وهو من الآخذين عن الحبيب محمد المذكور كما يصرّح بذلك في القصيدة، وهي جواب قصيدة لحفيد المترجم الأخ محمد ابن عبد الله بن علي مَدَح بها الشيخ المذكور في حال مرض به، مطلعها:

أنت في الشعر نخبة الشعراء ... إذ لَكَ الكل اذعنوا باجتباءِ
لك بالسبق دونهم كل فضلٍ ... تِه فخاراً فأنت أهل الثناءِ

ومنها:

أنت أستاذ كل حَبرٍ نجيبٍ ... قد تسامىٰ بعلمه والذكاءِ
لو تواريت كان غمراً نديمي ... فجزاك الإلٰه خير الجزاءِ
وشفاك من السقام الذي حلّـ ... ـت قلوباً آلامه بالعَنَاءِ

فأجابه الشيخ محمد المذكور، وذكرنا أكثرها لأنها لها تعلق فيما نحن بصدده، مطلعها:

يطرب القلب مستطاب الذكاء ... سيما في سلالة الشرفاءِ

إلىٰ أن قال:

أيها السيد الجمال ابن عبدِ الله ... من سابق العلا في ابتداء
لك فضل ورفعة في المساعي ... وسلوك السبيل والإرتقاء
في طريق العلوم والفهم والتحـ ... ـصيل كالتاج بين أهل الذكاء

إلىٰ أن ذكر جَدّه وجَدّ والده الحبيب محمد بن علي فقال:

ابن من أنت يا كريم السجايا وسميّ الجمال في الأتقياء
جدك الزبرقان وابن علي غاية في الكمال والإعتلاء
سيدٌ ضحكه التبسم والمشـ ـي الهوينا كصاحب الإسراء
سيدٌ إن بدا فنورٌ وإن قا ل فدُرٌ ينال بُالإلقاء
كنتُ في حلقة السرور به أجـ ـلس تلقاء وجهه ذي الضياء
اجتني من عُلا جواهره الغر اء ما فيه نزهتي ومنائي
يا له مجلس يكون به يحـ ـضر أهل التقى من العلماء
ويكون الأنام في حضرة التكـ ـريم والفيض والرجا والصفاء

ثم ذكر ابنه العلامة علي صاحب الترجمة فقال:

وابنه ذو التقى وذا جدك الثا ني علي بالأب ذو الإقتداء
سيدٌ شأنه التواضع والوصـ ـف الجميل مع الرضا والحياء
كن بهذين سيدي ذا اقتداءٍ لك في الإقتداء خير اهتداء
ولتكن في طريقهم ذا اجتهادٍ تَكُ في السالكين حلف سناء

إلىٰ أن قال:

أنتم الطاهرون أبناء طه خير أصلٍ لا خاب فيكم رجائي
وعلىٰ جدكم وآلٍ وصحبٍ صلوات الإلٰه ذي الكبرياء
وسلام ما فاح ريح الخزامىٰ أو شذا مطرب السرىٰ بالحداء

ثم إن صاحب الترجمة العم علي لم يزل دائباً في طاعة مولاه إلىٰ أن دعاه داعي الحق فلبّاه، وتوفي ظهر يوم الثلاثاء في ثاني يوم من ذي القعدة سنة ١٣٤٠ أربعين وثلاثمائة وألف، ودفن بمقبرة أسلافه، ورثاه جماعة من

النجباء، منهم السيد الفاضل عيدروس بن سالم بن محمد بن عبد القادر السقاف رثاه بقصيدة طويلة منها:

في كل آن لنا موتى نودعهم ... إلىٰ القبور وفي الاحشاء نيرانُ
ممن يعزّ علينا نأيه زمناً ... وتنقضي وهو ناءٍ بَعْدُ أزمانُ

إلىٰ أن قال:

كمثل سيدنا بدر الزمان وسلـ ... ـطان الأوان ومن في الرّشد معوانُ
فخر القيام ومصباح الظلام ومن له ... علىٰ نفسه بالشرع ميزانُ
يبكي علىٰ نأيه المحراب منتحباً ... وقائلاً: هل لهذا الكسر جبرانُ
رضي من العيش والملبوس أدونهِ ... وعاش وهو كريم النفس جذلانُ
ولم يكن بفضول المال مكترثاً ... حتى أقيمت له في المجد أركانُ
وماله فكرة إلاّ بخالقه ... وفي بدائع صنع الله حيرانُ
بشراه قد أدرك الآمال واتسعت ... له المسالك واستدعاه رحمٰنُ

وممن رثاه أيضاً الأخ الفاضل السيد محمد بن شيخ المساوى بقصيدة مطلعها:

اترىٰ الحوادث والخطوب تلامُ ... ولا لوم فيما تفعل الأيامُ
والله لا نسلوا وقد أودىٰ الذي ... لزِمَ الجِدَاد لفقده الإسلامُ
طود الفخار علي بن محمدٍ ... وقرينه والسيد القمقامُ
فرع تسلسل من كرامٍ لم تزل ... تطأ المعالي منهم الأقدامُ
ولقد دعته إلىٰ الرقي إلىٰ العلا ... وإلى الندىٰ والمكرمات كرامُ
لزم العبادة والسماحة والتقىٰ ... والعلم والأخلاق وهو غلامُ
ونشأ بِحِجر الأكرمين فما له ... بسوىٰ المكارم لوعة وغرامُ

إلىٰ أن قال:

وهو الذي يؤوي النزيل بربعهِ ... وله عطايا في الأنام جسامُ
شَهِدَت شمائله بأن مقامه ... لم يعله في ذا الزمان مقامُ
فسَلِ المساجد والمعابد أين من ... فيها له جنح الظلام قيامُ
كم بات في جوف الدجىٰ متهجداً ... بصلاته والغافلون نيامُ
وسَلِ الهواجر أين من فيها له ... قد دام من دون الأنام صيامُ
ومشىٰ بهَدْي السابقين فما له ... عن نهج أسلاف له إحجامُ
حتىٰ دعاه إلىٰ اللقاء إلّهه ... في حضرة عزّت فليس ترامُ

والقصيدة المذكورة طويلة ذكرنا بعضها روماً للاختصار. انتهىٰ ما أردنا ذكره في ترجمة ابنه علي.

وأما ابنه الوالد سالم صاحب الجود المدرار والموصوف بمحاسن الأخلاق والشِيَم، فقد ولد بمدينة سيؤن في شهر شوال سنة ١٢٦٦ ست وستين ومائتين وألف ونشأ بها، وقرأ القرآن العظيم وتأدب بآداب أبيه وتربىٰ تحت حجره وأخذ عنه وعن جماعة من أصحابه مثل العلامة علوي بن عبدالرحمٰن والفهامة صافي بن شيخ وغيرهم من علماء الجهة، وقد حصلت له الإجازة بمعية والده وإخوانه حسن وعلي من الشيخ محمد بن عبد الله باسودان، وسنثبتها في ترجمة الشيخ محمد المذكور فيما بعد، ثم إنه انتفع بهم وصَحِبهم وحضر مجالسهم إلىٰ أن حَصَّل طرفاً صالحاً من العلوم، ثم سافر بمعية والده إلىٰ الحرمين لأداء النسكين وزيارة سيد الكونين سنة ١٢٨٤، وكانت هذه الحجة لوالده الثانية، وأما التي قبلها فهي مع ابنه حسن وصَحِبَهم فيها خلق كثير، منهم الإمام العلامة عبد الرحمٰن بن علي والسيد الشريف العالم شيخ بن محمد الحبشي، وقد سمعت السيد المذكور يقول

وقد ذكر سفره معهم: لما كنا أثناء طريق الحج أدركتنا ليلة ذات برد شديد فأوقدنا ناراً نصطلي بها، فبينا نحن كذلك إذ جاء إلينا سيدي العم محمد بن علي وجلس بيننا كالواحد منا، ثم ذكر ما أودعه الله في النار من المنافع، وما زال يُملي علينا حتىٰ قال: إن الله امتنَّ بها علىٰ المسافر، أمَا سمعتم قوله تعالىٰ: ﴿وَمَتَٰعًا لِّلۡمُقۡوِينَ﴾ هل تعلمون مَن المقوين؟ هم المسافرون.. إلىٰ آخر ما قال. انتهىٰ بلفظه أو بمعناه.

ثم بعد رجوعهم من الحرمين وظفرهم بالحُسنيين حصل علىٰ والده دَين، فضاق صدره لذلك وعزم علىٰ السفر بقصد قضاء دَين والده، فطلب منه الرخصة فامتنع ثم تشفّع ببعض الأجلاّء من أولي الفضل والعلم فرخّص له، ثم طلب منه الوصية والإجازة فكتب له:

بسم الله الرحمٰن الرحيم: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا﴾.

الحمد لله المنفرد بالخلق والتقدير والحكم والتدبير، ليس لغيره فتيل ولا نقير، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد البدر المنير وعلىٰ آله وصحبه وسلم، وبعد:

لما جرّد الولد سالم العزم للسفر، المصحوب إن شاء الله بالرعاية والظفر بجاه سيد البشر، طلب الإجازة والوصية، فأوصيه بتقوىٰ الله الذي خلق كل شيء وقدّر وأحسن كل شيء ودبّر، عليك بها في السر والعلن والخلوة والجلوة، ففيها خير الدارين والفوز بالحُسنين، وعليك بالإخلاص والصدق بأن لا تقصد في العمل إلا ربك ولا تشهد إلا هو في كل الأمور، وبأن تشكره في السراء والضراء والشدة والرخاء والمنع والعطاء، فإن لم تقدر فاصبر فإن في الصبر علىٰ ما تكره خيراً كثيراً، وحسِّن ظنك بربك يُنِلك ما تطلب وزيادة، وتوكّل عليه يكفِك ما أهمّك من أمر دنياك وآخرتك، واقصد بسفرك

هذا السعي علىٰ الأهل والأولاد وكفايتهم، وقضاء دين والدك وبرّه وصِلة أرحامك وكفايتهم، والاستغناء عن الناس وعن الحاجة إليهم، والاحسان إلىٰ الجيرانِ والأيتام، والاستعانة به علىٰ طاعة الله، وعليك بحسن الظن بجميع المسلمين وأحِب لهم ما تحب لنفسك، وجالس الأخيار وخُذ من آدابهم وٱبعد عن الأشرار وٱبغض أفعالهم المنكره، وحَسّن أخلاقك مع الكبير والصغير، وأطِب الكلام مع الكل، ولا تَجْفُ من جفاك، وجالس العلماء واقتد بهم، وثِقْ بالله واستعن به واجعله وجهتك ولا ترفع الرأس إلا إليه ولا تأتِ باباً سوىٰ بابه تنال ما تطلب وترتجيه، وارفع الهمة عن غيره.

والله الله يا ولدي في لزوم الطاعة ودوام الذكر لله بالقلب واللسان وكثرة الاستغفار والصلاة علىٰ النبي المختار، وترتيب الأوراد صباحاً ومساءاً خصوصاً الورد اللطيف وورد النووي ودعاء الخضر، أوّله: اللهم كما لطفت. . إلىٰ آخره، وقل: بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله، ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله، ما شاء الله ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾، ما شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم صلّ علىٰ سيدنا محمد في الأولين، اللهم صلّ علىٰ سيدنا محمد في الآخرين، اللهم صلّ علىٰ سيدنا محمد في المرسلين، اللهم صلّ علىٰ سيدنا محمد في النبيين، اللهم صلّ علىٰ سيدنا محمد في الملأ الأعلىٰ إلى يوم الدين «ثلاثاً. . ثلاثاً» صباحاً ومساءاً، وإن يسّر الله لك سبباً عليك فيه بالصدق والنصح والرفق والقناعة بيسير الربح، ولا تَبِع نسيئة، ولا تعتمد علىٰ السبب واعتمد علىٰ مسبّب الأسباب، وتسربل بالصبر والحلم فإنهما وقاية من كل مكروه، وما حصل معك وجِّهه حضرموت وإن قل، والحذر من التبسط في السبب، وإذا حصل ما يبرىء الذمة وتحصل فيه الكفاية أخرج حضرموت وكن دواماً عازماً علىٰ الرجوع إلىٰ الوطن، ولا تنظر إلىٰ الزهرة وإلىٰ أهلها وتنعّمهم بها، واقنع بالميسور فهو الغنى.

فقد أجزتك يا ولدي فيما ذكرته لك من الأوراد والأذكار صباحاً ومساءاً، وفي الاِستغفار بعد العصر والصبح «خمساً وعشرين مرة» للمؤمنين والمؤمنات، وعليك بالتواضع وحُسن العِشرة مع من صَحِبت سفراً وحضراً، ولا تغضب ولا تُكْثِر المزاح، واترك المراء والجدال رأساً، وسامح الشريك وابذل المعروف، واحذر الشُّح والبخل والتقصي في الحساب.

ونسأل الله أن يحلّيك بكل خُلق حَسَن بحق جدِّ الحسن، واستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك، وأحصنك بالحي القيوم الذي لا يموت أبداً وادفع عنك السوء بلا حول ولا قوة إلا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. قال ذلك وأملاه الفقير إلىٰ الله: محمد بن علي بن علوي بن عبد الله السقاف، وحرر يوم الجمعة ويومين من ربيع الأول سنة ١٢٩٧ سبع وتسعين ومائتين وألف.

انتهت الوصية الجامعة وقد قرأتها علىٰ سيدي أحمد بن عبد الرحمٰن بن علي فقال لي: إن والدك عَمِل بها، ويؤيد ما قاله لي أن الجد محمد قال للوالد: ولا تبع نسيئة، فلما باشر السبب وجَدَ البيع نسيئة لا بد له منه، فتوقف وكتب لوالده عن شأن ذلك فأجابه بالترخيص له، وقال له أيضاً في الوصية: واقصد بسفرك هذا السعي علىٰ الأهل والأولاد «إلىٰ أن قال»: وصِلة أرحامك وكفايتهم، وكان الأمر أن كَسِب المال وأفاض الله عليه بما أفاض، فَوَاصَلَ وواسىٰ وأنفق علىٰ أهله وأقاربه، وكانت صِلته لهم أشهر من أن تُذكر كما هو معروف لمن له أدنىٰ خبره بحالهم.

وكان رحمه الله قد سافر مرات إلىٰ جاوه، ولكن مع ذلك بقي علىٰ السيرة الحسنة ولم تغيّره تلك الجهة، أخبرني سيدي الإمام العارف المتحلي بالأسرار واللطائف سالم بن محمد بن عبد القادر السقاف، المولود سنة ١٢٧٦ امتع الله به كهفاً للبلاد والعباد قال: لما جئت من السفر دخلت علىٰ

الحبيب علي بن محمد الحبشي فقال لي: يا سالم أنت وسالم بن محمد بن علي لم تغيركم جاوه، وأخبرني الرجل الصالح عبد الله بن سعيد الطبيل قال: سمعت الحبيب علوي بن عبد الرحمٰن السقاف يقول: إن سالم بن محمد وسالم بن محمد ـ يعني المذكورَين ـ علىٰ حالة حسنة تعجبني سيرتهما، نفع الله بالجميع.

ولم يزل علىٰ أحسن حال من اقتفاء السيرة وصلاح السريرة وملازمة العبادة والطاعات إلىٰ أن دعاه داعي الممات فتوفي بسماران سنة ١٣٢٠ عشرين وثلاثمائة وألف، رحمه الله رحمة الأبرار وجمعنا به في دار القرار.. اللهم آمين.

وأما اِبناه محمد وعمر: فهما الشهمان الكريمان، توفي والدهما وهما صغيران، فسيدي العم محمد في نحو خمس سنين وأخوه العم عمر ولد قبل وفاة والده بيومين، وهما الآن في قيد الحياة.. الله يطيل أعمارهما رافلين في قشيب برد العافية، ولقد أخذا عن الكثير والتمسا من الجم الغفير من علماء حضرموت وغيرها، وقد كان الحبيب أحمد بن عبد الله بن طالب العطاس يبجّلهما ويقول: إن والدكم الحبيب محمد بن علي شيخي، وكانا معظِّمين للعلماء والأولياء العارفين محبوبين لديهم، وكانا ملازمين مجالس العلم ومرافقة أهله مع ملازمة العبادات والقربات، ولا زالا يفيدان ويستفيدان ويطلبان معالي الأمور ورتب أهل النور، كيف لا وهما تفرعا من خير أرومة وعنصر طيب ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ وكِرامُ السجايا أردفت بكرامِ.

ونثبت هنا وصية والدهما لكل أولاده فقال رضي الله عنه: وأوصي أولادي بتقوىٰ الله وبالتوكل والاِستعانة به وعليه، وبالتعاطف والشفقة والتناصر والتشاور، ورحمة الصغير وتوقير الكبير، وبذل الجهد في طلب الكمال ونيل رتب الرجال بطلب العلم والبحث عنه ومجالسة أهله وحُبِّهم

وحُسن الظن بالله وبالمؤمنين، ويحذروا من الكسل والملل والتواني مثلي فقد فَوَّتُّ عَلَيَّ كثيراً من الخير.

وقال رضي الله عنه من وصية أخرىٰ أيضاً لأولاده جميعهم: وأوصي أولادي وسائر أهل لا إله إلا الله بتقوىٰ الله وتحسين اليقين وتقويته، وبالمحافظة علىٰ الصلاة فرضها ونفلها، مع مراعاة الآداب الشرعية القلبية والبدنية، وأن يديموا ذكر الله ويذروا ظاهر الإثم وباطنه، ويستعينوا علىٰ ذلك بالله، ويكثروا الاِستغفار آناء الليل والنهار، وعليهم بالصِلة والمودة والتواصل فيما بينهم، ولا يتنازعوا ولا يتباغضوا ولا يتظالموا ولا يتحاسدوا ولا يتخاصموا، فمن خالف منهم شيئاً مما ذُكِر فعليهم ردعه وزجره ويقوموا عليه قومة رجل واحد، والقائم والقابل والمُمْتَثِل لذلك.. الله معه ورسوله والمؤمنون والخير والبركة وسعادة الدنيا والآخرة، وأن يحذروا منازعة الناس وخصامهم ويحذروا الغضب، ويُحِبُّوا أهل الطاعة ويكرموهم ويجالسوهم، ويبغضوا أهل المعصية ويجتنبوهم ويدعوا لهم بالهداية، وأن يحسنوا الظن بجميع المسلمين، هذه وصيتي لكم، واجمعوا أمركم وشوركم واحذروا الاِفتراق واختلاف الرأي، وليرحم الكبير الصغير والقوي الضعيف ويوقّر الصغير منكم الكبير، وليجعل أحدكم أخاه وأولاده وما له مثل نفسه وولده.. الله الله هذا سبب الشرف والعز والزيادة في العمر والمال، وفّقكم الله لكل ذلك وما يرضيه، واطلبوا الكمال ولا تعجزوا مثلي عن طلب معالي الأمور الجالبة للنور والحبور، هذا عهدي إليكم، والله يتولاكم ويكلأكم ويرعاكم فهو ولي التوفيق والهداية.

ولنمسك عنان القلم عن أوصاف هذا المفرد العلم، وما ذكرته نزر من كثير وقطرة من غدير، وقد قيل:

كفىٰ بالنفحة دليلاً علىٰ الزهرِ وبالغرفة علىٰ عذوبة النهرِ

ثم أني قد عزمت أولاً علىٰ أن أترجم مشايخه وتلاميذه وأقرانه فرأيت ذلك أمراً كبيراً، مع أن أكثر مشايخه قد ترجمهم غير واحد، مثل الشيخ عبد الله بن سعد بن سمير في مناقب الحبيب عمر بن سقاف، ومثل الإمام العلامة عيدروس بن عمر في كتابة العِقد، وأما أقرانه وتلاميذه فقد ترجم كثيراً سيدي العلامة أحمد بن عبد الرحمٰن بن علي إِملاء علىٰ أخينا المهذب السيد محمد بن عبد الله بن علي ابن العلامة المترجَم له محمد بن علي فهو من أحفاده الكرام، ولقد كان هذا الأخ مُشغفاً بالعلم وبِسِيَر أسلافه سؤولاً عن ذلك، معظماً للعلماء ومحباً لهم، منعزلاً عن الخلق، ترك الناس جانباً ورضي بالله صاحباً، وكانت مجالسه في مذاكرة العلم لا تخلو من فائدة، لا زال ممتعاً، ثم إني اقتصرت علىٰ بعض مشايخه ممن حصلت له منه الوصية والإجازة مع إيجاز واختصار فأقول:

فمن مشايخه السيد العارف المتحقق بالأسرار والمعارف، الوارث أخلاق الأكابر السالفين، عفيف الدين عبد الله بن علي بن عبد الله بن شهاب الدين، ولد رضي الله عنه بتريم سنة ١١٨٧ سبع وثمانين ومائة والف، وقرأ القرآن العظيم وتربىٰ تحت حِجر والده علي وأخذ عنه وقرأ عليه متن الأربعين الحديث النووية ومتن الإرشاد إلى باب الصلاة وألبسه الخرقة، وأخذ عن غيره، وقد ذكر رضي الله عنه بعض مشايخه في إجازة منه للشيخ رضوان بن أحمد بارضوان فقال: طلب مني أن أذكر له بعض مشايخي الذين أخذت عنهم وكرعت من حياض أسرارهم وتملّيت بأنوارهم وقرأت عليهم وصار لي الفتح علىٰ أيديهم والمنحة من الله ببركتهم، ثم ابتدأ في ذكر والده علي المذكور، ثم قال: ومنهم سيدي وشيخي العلامة مفتي زمانه الذي لا يشق له غبار من أقرانه الحبيب علي بن محمد ابن الشيخ شهاب الدين ابن الشيخ علي بن علوي، ومنهم صوفي زمانه الكارع من علوم القوم بالقدح

المعلّى علوي بن محمد المشهور ابن الشيخ شهاب الدين ابن الشيخ علي، ومنهم الحبيب الوجيه الذي اعتمادي عليه وصباحي ورواحي بين يديه شيخ الفتح عبد الرحمٰن بن الحبيب علوي بن الشيخ علي. . إلىٰ آخر من ذكرهم وعدّهم في هذه الإجازة، وقال في آخرها: ومشايخنا كثيرون وهؤلاء المذكورون بعض من كثير.

وقد أخذ عنه جماعة من العلماء العارفين، منهم العلامة محسن بن علوي والحبيب محمد بن حسين الحبشي والإمام علوي بن سقاف بن محمد الجفري وسيدي الجد محمد بن علي والحبيب عيدروس بن عمر الحبشي، وقد ترجمه في العِقد وعليه اعتمد في نقلي هذا مع اختصار ونوع زيادة.

ومن مناقب الحبيب العلامة عبد الرحمٰن بن محمد المشهور قال: سمعت شيخي أحمد بن علي الجنيد يقول: كان الحبيب عبد الله بن علي بن شهاب الدين يدرِّس في زاوية الشيخ علي وسِنُّه سبع عشرة سنة، استخلفه شيخه الحبيب عبد الرحمٰن مولىٰ البطيحة، وكان يحضر تدريسه أحد عشر شيخاً من مشايخه الفقهاء، مثل الحبيب أبي بكر الهندوان والحبيب عبد الرحمٰن ابن حامد وغيرهما، وكان لا يخرج كل يوم من بيته إلىٰ المدْرَس إلا ويتصدق بنية أن يستر الله عيوب شيخه عنه ليَكْمُل انتفاعه به، وكان يخيط كل يوم كوفية ويتصدق بها أو بثمنها، وكان فتوح الحبيب عبد الله بن حسين بلفقيه عنده لما قرأ عليه في زاوية الشيخ علي المشهورة بالفتوح، وكان شيخاً عظيماً منوراً، قرأ عليه غالب أهل تريم، حتىٰ أن الحبيب عمر بن سقاف صاحب سيؤن من مشايخه، وإذا أتىٰ إلى تريم يحضر تدريسه ويقدمه في الصلاة مع صِغَر سِنّه، حتىٰ أنه في بعض الأيام تكلّم الحبيب عمر هذا بعد السلام من صلاة العصر وقال: لا يظن أحد أن عبد الله تقدّم علينا مِن قِبَل نفسه وإنما أمرناه بذلك لأن فيه الأهلية فامتثل أمرنا، انتهىٰ من المناقب المذكورة.

ولم يزل رضي الله عنه يتنزه في رياض العلوم والمعارف، منيلاً للطالب التالد والطارف، إلىٰ أن دعاه مولاه فلبّاه وانتقل إلىٰ رحمة الله بتريم في شهر جمادىٰ الآخرة سنة ١٢٦٥ خمس وستين ومائتين وألف، وقد طلب منه الوصية والإجازة سيدي الجد محمد فكتب له:

بسم الله الرحمٰن الرحيم، الحمد لله الفتاح المعين، الهادي من أراده من عباده إلىٰ سبيل المتقين، وموفّقه إلىٰ التوفيق إلىٰ طريق الصالحين، الذاكرين الله كثيراً في كل حين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا محمد سيد المرسلين، وعلىٰ آله وصحبه وسلم أجمعين، وعلىٰ التابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وبعد:

فقد طلب مني الإجازة والوصيـة الولد الصالح الجمال محمد بن علي ابن علوي بن عبد الله السقاف علوي، فأجزته فيما أجازني فيه مشايخي في بعض أذكار الطريقة العلوية المأخوذة لنا من طريق الحبيب الشيخ الكبير الشهير العيدروس الأكبر عبد الله بن أبي بكر ابن الشيخ الكبير القطب الشهير عبد الرحمٰن السقاف، وهكذا إيصالها وسندها، وأخْذُنا لها من طريق الشيخ المعلم الصالح الولي العلامة عمر بن عبد الله باغريب عن سيدنا الشيخ الكبير عبد الرحمٰن ابن الشيخ البركة مصطفىٰ ابن الشيخ العيدروس، فأقول:

أجزت الولد المبارك الولي الصالح في أن يقول بعد كل صلاة اثنا عشرة مرة «لا إله إلا الله» واثنا عشرة مرة «الله» واثنا عشر مرة «هو»، وواظب على ذلك بعد كل صلاة المواظبة التامة ليرسخ الذكر ويتسلطن في قلبك وينقله من الغفلة إلىٰ اليقظة ومن اليقظة إلىٰ الحضرة، ثم إذا قام من الليل يتطهر ويصلي ما شاء من النوافل ويدعو الله له ولمشايخه، ثم يشرع في الذكر مستقبل القبلة حاضر القلب ساكن الجوارح طيّب الرايحة خاشعاً مفتقراً لربه ملتجأً إليه مخلصاً مع النفي والإثبات، نافياً لجميع الخواطر الرديات، فانياً

عن نفسه باقياً بربه قائلاً: «لا إله إلا الله» مع القوة وحصر النَفَس لتحصل الجدوىٰ والفتح قريباً، ويلازم علىٰ ذلك ليلاً ونهاراً وصباحاً ومساءاً، ولا يلتفت في اثناء الذكر إلىٰ الخواطر وكثافتها لأنها حجاب، ولا إلىٰ الميل إلىٰ الكرامة ونحوها مما تتمناه النفس من الحالات الزائلة، بل يُقبل إلىٰ ربه بكليته ويقول: أنت معبودي ورضاك مقصودي، فإن الذاكر يداوم علىٰ ذكر «لا إله إلا الله» حتىٰ يتسلطن في القلب، فإذا انمحت كثافة النفس وانفتق رتق القلب وانشرح بالذكر فلينتقل إلىٰ ذكر الله تعالىٰ. ومن شرائط الذاكر أن يواظب علىٰ الفرائض والسنن لا يُخِل بشيء منها ولا ينقص، ثم بعد ذلك يشتغل بذكر «لا إله إلا الله» فإنه يقوم مقام الأذكار والتسبيحات والنوافل، الصيد كل الصيد في جوف الفرا.

وتجنّب المعاصي كلها وتجنّب مجالس العوام ومكالمتهم سيما إذا كان في حالة الخلوة، والذكر باب الطريقة والحقيقة، وإذا عَمِل المريد الصادق ذلك العمل مع الشرائط المذكورة أربعين يوماً مستمراً انفتح له باب الكشف والمشاهدة من عالم الروحانيات.

وأوصيك ونفسي بتقوىٰ الله فهي الأساس والرأس وهي العماد والمراد، ووصية الله لعباده الأولين والآخرين، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾. وهي عبارة عن امتثال الأوامر واجتناب النواهي، وهي لباس المؤمنين المتقين، وقد بدأ الله بها في كتابه العزيز، قال تعالىٰ: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ إلىٰ آخر الآيات، إلىٰ أن قال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، فعليك ببذل جهدك في ذلك، عُضّ علىٰ ذلك بالنواجذ، واحفظ جوارحك السبعة من المخالفات لمولاك، قال الله تعالىٰ: ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ إلىٰ آخر

الآية، وطريق ذلك بأن توزع وقتك من حين تُصبح إلىٰ حين تُمسي، بأن تُشغِل كل وقت بطاعة ليثمر وقتك وتظهر بركة العمر، فحين تصبح بعد صلاة الصبح بالأذكار النبوية أذكار الصباح والمساء والأوراد السلفية وتصلي ركعتي الإشراق، ثم إذا صليت خُذ حظّك من القراءة في القرآن ومذاكرة أحد الإخوان الذين يعاونون علىٰ الطاعة والقصد المنافعة. شعراً:

إذا قُلتَ خيراً قال لبيك مسرعاً   وإن قلتَ شراً قال أقليك أو تُقلي

وإذا أضحىٰ النهار صلِّ صلاة الضحىٰ ما يسّره الله ركعتين أو أربعاً إلىٰ ثمان ثم تجلس مذاكراً أو ذاكراً أو متفكراً أو معتبراً أو مراقباً إلىٰ أن يقرب وقت القيلولة، ثم تنام بنية المعونة لقيام الليل، وكُلّ ذلك بعدْلٍ وميزان، ثم إذا دخل عليك وقت الظهر وأذّن المؤذن أجِبه واقصد المسجد وانتظر الجماعة وصلِّ معهم، وحافظ علىٰ الرواتب لا تتركها ففي تركها لوم كثير، ثم اجلس بعد صلاة الظهر للقراءة في الفقه ومذاكرة إخوان الصفا الذين يدلونك علىٰ الله تعالىٰ ويعاونوك علىٰ طاعة الله، والحذر كل الحذر من الغيبة والسّبّه سيّما في مجالس العلم فإن الغيبة تمحق بركة المجالس وتذهب برونقها سيما في طلبة العلم، فالغيبة حرام سيما غيبة القرّاء ممزوجة بالتزكية للنفس، بل أعرض عنهم حتىٰ يخوضوا في حديث غيره، وقد قلت في بعض القصايد:

علىٰ شأنك فأقبِل واصلح أمرك   لكـي يصلحـك ربـك يـا سعيـد

واجلس في هذا المجلس إلىٰ أن يدخل عليك وقت العصر وأنت ملازم للمذاكرة ومجالسة الإخوان وقراءة القرآن، وانتظر الجماعة وصلّ مع الجماعة، ثم خذ شيئاً من كتب الرقايق كالإحياء في علمَي الظاهر والباطن، واذكر الله مع ذلك وتمّم أورادك حق المساء، ولتغرب عليك الشمس وأنت علىٰ ذلك، ثم صلّ المغرب مع الجماعة ثم اركع البعدية وأحيي ما بين العشائين بصلاة الأوابين وصلاة الفردوس المذكورة في الغُنية، وواظب علىٰ

إحياء ما بين العشائين ففيه فضل عظيم ويُذهب بملاغاة النهار، الله الله لازم واجلس بين العشائين بالصلاة مع الاعتكاف في المسجد إن كنت فيه، فإذا دخل عليك العشاء فأجب المؤذن واركع سنة العشاء القبلية وصلّ مع الجماعة ثم اركع بعدية العشاء والوتر إن كنت تقدّمه وإلاّ آخر الليل مع القيام، واختم بالوتر وكمّل القيام بذلك، واجلس ذاكراً لله مستغفراً كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ وقال: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ وليدخل عليك وقت الصبح وأنت متأهب لجماعة الصبح وصلّ الصبح تُكفى من الله كل أذية، واجلس لأوراد الصبح النبوية والسلفية، وواظب علىٰ الذكر مما تقدم وكن مراعياً كن حامداً كن شاكراً متوكلاً على الرحمٰن في كل لحظة.

وعليك باجتناب هذه الدنيا فهي رأس الخطايا ومحل الرزايا والبلايا، غدّارة سحّارة مكّارة تأخذ لبّ الرجال إلاّ من عَصَمه الله وحَفِظَه الله، وحاذر علىٰ قلبك من محبتها وخُذها بطريقها ولا تأخذها بالمكر والحِيَل.

ليس دينُ الله بالحيلِ فانتبه يا راقد المُقَلِ

وعامل الله بالصدق ولا تخادع ربك يخادعك الله، كما قال الله تعالىٰ: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ إلىٰ آخر الآية، ولن يغلب الله غالب، وكم إنسان داره ملآنه بالذهب والفضة والطعام وغيره وقلبه ظمآن.. سلّط الله عليه آفة من حيث لا يدري أو يدري، فالله الله الله في المعاملة الطيبة المليحة، وأسلك الطريق ولا تغتر بكثرة الهالكين، وجالس من يدُلُّكَ علىٰ الله حاله ومقاله ويزهدك في الدنيا ويرغبك في الآخرة «وكن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» واحذر من مجالسة الجهال والغوغاء، وإذا قد بليت بمجالستهم علّمهم بما يناسبُهم، واصبر وتحفّظ منهم ودارِهم إلىٰ أن ينفضّ المجلس، وخالطهم وخلِّ قلبك مع الله ولا تنسىٰ ذكره، اذكروا الله قياماً وقعوداً وعلىٰ جنوبكم، كان الله معك.

وإذا جلست مع أهل الدنيا فلا تغبطهم في دنياهم، والدنيا ما تسوىٰ عند الله جناح بعوضة، لو كانت تسوىٰ عند الله جناح بعوضة ما سقىٰ منها كافراً شربة ماء، ولكن الإنسان بَشَر مسكين، تلقىٰ بعضهم إذا فات عليه شيء يتحسّف ويتأسف أسفاً كبيراً ويحزن حزناً عظيماً ويقول كما قال قوم قارون ﴿يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾ ما عرفوا مساكين، وانظر من قد ضحكت له الدنيا ﴿وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمۡ﴾ إلىٰ آخر الآية، إلىٰ أن قال ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ﴾.

وعليك بالإقبال علىٰ الله والمراقبة والمعاملة علىٰ الصدق والإخلاص في العبادة والتقرّب بالنوافل، وفي الحديث «لا يزال العبد يتقرب إليَّ بالنوافل حتىٰ أحبه، فإذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها، وإن سألني أعطيته وإن استعاذ بي أعذته» وعليك بقيام الليل، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ﴾ وقال: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢﴾ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا﴾ وقال: ﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾ وقال تعالىٰ ناصحاً لهم ومُذكّراً ومُسعفاً ومعيناً ومسلّياً: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا﴾ إلىٰ آخر الآية، وفي الحديث «من صلىٰ بالليل حَسُن وجهه بالنهار» وقد قال صلىٰ الله عليه وسلم: «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وإنّ قيام الليل قُربة إلىٰ الله تعالىٰ ومنهاة عن الإثم وتكفير للسيئات ومطردة للداء عن الجسد، ولا أسري بنبي إلا ليلاً ولا عُقِدَت ولاية لولي إلا ليلاً».

وعليك بالإنكسار في جوف الليل «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي في جوف الليل» فقومٌ قليل ظفروا بالمطلوب ونالوا رضا علام الغيوب، قال

بعضهم: والعجَبَ ممن يؤمن بالله واليوم الآخر والدار الآخرة وينام طول ليله ولا يتذكر ظُلمة القبر وخرابه فيعمره وينوّره، وأحسن ظنك بالله فهو يقول «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء» لأنه سبحانه وتعالىٰ أقرب قريب إليك وأعْلَم بسرّك ونجواك، فالتجىء إليه واضطر وافتقر إليه ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾.

وعليك بقراءة القرآن وترتيله وتحسينه وتجويده تحظىٰ بذلك، وعليك بالمعاملة الصالحة علىٰ قانون الشرع بحسب الإمكان، الحذر من المعاملة الفاسدة معاملة أهل الوقت الذين لا يبالون في اكتساب المال من حلال كان أو حرام، من لم يبالِ لم يبالِ الله في أي وادٍ من أودية جهنم أوقعه فيه، ولا تجالس إلا من يدلك علىٰ الله حاله ومقاله، وعليك بصلة الرحم فصِلَتُها منسأة في الآجال مثراة في الأموال، ولها تعلّق بعرش الرحمٰن تنادي وتقول: وأنا بك فلا أقطع، فيناديها سبحانه وتعالىٰ: شَقَقتُ لكِ اسماً من اسمي من وصَلَكِ وصلته ومن قَطَعكِ قطعته، فعليك بذلك، وعليك بحسن الظن بجميع المسلمين لا تظن بهم إلا خيراً، وأقبِلْ علىٰ شأنك ولا تُصغِ إلىٰ أراجيف القوم ومعاملتهم في بعضهم البعض، قال الله تعالىٰ: ﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»، وعليك بذكر الموت والبكاء كما قال ﷺ: «أكثروا من ذكر هادم اللذات ومفرّق الجماعات».

فعليك بما يقربك إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ كما قال: «لا يزال العبد يتقرّب إليّ بالنوافل حتىٰ أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به» إلىٰ آخر الحديث، وعليك بمجالسة الإخوان الصالحين فقد ورد «المرء مع من أحب» و«المرء من جليسه» و«من سوّد قوماً فهو منهم» و«من تشبّه بقومٍ فهو منهم» و«المرء علىٰ دين خليله» والطبع يسرق من الطبع

من حيث لا يدري ولو أبَتِ النفس، فقد قيل: اصحب ذوي العقل والدين فالمرء منسوب إلىٰ القرين، وقد قيل: من صَحِبَ الأخيار جعله الله من الأخيار وإن كان من الأشرار، ومن صَحِبَ الأشرار جعله الله من الأشرار وإن كان من الأخيار، وورد «الوحدة خير من جليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة» وورد «الجليس الصالح كحامل المسك إما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، والجليس السوء كنافخ الكير إما أن يحرقك بالنار وإما أن تجد منه ريحاً منتنة» وغير ذلك.

وعليك بحفظ وقتك لتجني منه ثمرته دُنيا وأخرىٰ، وعليك بحضور الجمعة والجماعة في الصلوات الخمس كلها فهي من المهمات، والتهاون بها من الموبقات والمهلكات، ورواتب الصلوات جميعها لاَزِمْهَا، وغير ذلك مما يقربك إلىٰ الله تعالىٰ، وبالجملة المؤكد وغيره والوتر وصلاة الأوّابين والضحىٰ والتسبيح والفردوس وغير ذلك مما يقربك إلىٰ الله تعالىٰ.

وبالجملة فعليك بتقوىٰ الله وطاعته ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ والمراقبة والشهود في حضرة المعبود، والدعاء لك ولمشايخك ووالديك وجميع المؤمنين بالثبات في الدارين، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. أملىٰ ذلك الفقير إلىٰ الله: عبد الله بن علي بن عبد الله بن عيدروس ابن شهاب الدين، عفا الله عنه آمين.

ومنهم: العالم النحرير ذو التحقيق والتحرير، عين العصر ويتيمة الدهر، العمدة العلامة، مَن به ابتهج وادي الأحقاف، زعيم السادة الأشراف، محسن بن علوي بن سقاف السقاف، ولد رضي الله عنه سنة ١٢١٢ اثنتي عشرة ومائتين وألف بسيؤن ونشأ بها، وتربىٰ تحت حِجر والده العلامة علوي واقرأه القرآن علىٰ غاية الإتقان، ثم اشتغل بطلب العلوم المنطوق منها والمفهوم فأفرغ فيه غاية وسْعِه حتىٰ انقاد له منها كل صعب، واعترف له

بالتقدم كل ألمعي ندب، فأخذ عن جماعة من أكابر العلماء، منهم: والده المحقق القاضي علوي وأعمامه الكرام، والعلامة نور الدين علي بن عمر بن سقاف، والداعي إلىٰ الله الحبيب أحمد بن عمر بن سميط، والقطب الحسن ابن صالح البحر، والحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر وأخوه طاهر، والوجيه عبد الرحمٰن بن حامد بن عمر، والعلامة عبد الله بن علي بن شهاب الدين، والحبيب الجواد عمر بن أحمد بن حسن الحداد، ولبس منه الخرقة في صِغَره، ولبسها من أكثر مشايخه، وشمله نظر عمه الإمام عمر بن سقاف إذ قد أدرك من عمره أربع سنين، وأخذ عن غيرهم من جماهير العلماء، فظهر صِيته وانتشر ذكره وقصده الطالبون من النواحي، وأخذ عنه من أجلاء عصره كثير، منهم: العلامة سيدي الجد محمد بن علي، والنجمان الأغرّان ولداه عبد الله وعبيد الله، والحبيب عيدروس بن عمر الحبشي، والحبيب علي بن محمد بن حسين الحبشي، والعارف بالله الحبيب أحمد بن حسن العطاس والقاضي الإمين علوي بن عبد الرحمٰن السقاف، والفقيه صافي بن شيخ بن طه، والعلامة عبد الرحمٰن بن محمد المشهور، وغيرهم ممن يطول بهم العَد.

وكان رضي الله عنه نفعاً للعباد والبلاد بل وسائر الجهة، فكم أرشد وهدىٰ وحَذّر عن سُبُل الردىٰ، وكان وافر العقل مُطاعاً مقبول الشفاعة لا يستطيع أحد مخالفته، مصلحاً ذات البين محباً للعلماء وطلبة العلم، وله غوص في دقائق العلوم وفهم في معاني القرآن مع الذهن الوقاد والذكاء العجيب، وكان كثير التهجد والتضرع والمناجاة، دائم الفكر كثير الذكر، ناشراً معالم الشريعة، قد ولِّي القضاء وسِنّه اثنتان وعشرون، فحمد الناس أفعاله وسدّد الله أقواله وقام بنصر المظلوم، وكانت الدولة الكثيرية طوع يده وكان محامياً عنهم ناصحاً معهم وجالباً لم ما ينفعهم في أمر دينهم وولايتهم.

وكان رضي الله عنه ممن افتخر به الزمان وسُرَّ به القطر الحضرمي، فهو بدره المضيء وكوكبه الدّري، إليه المرجع في حلّ المشكلات والمفزع عند نزول المعضلات، وكان كهفاً لليتامىٰ ملاذاً للخائفين رحيماً بالضعفاء والمساكين شفيقاً عليهم، وله ديوان نظم وكلام نفيس من وصايا ومكاتبات، وكلها إرشاد ودعوة إلىٰ الله، ولم يزل نفع الله به علىٰ الحالة الحسنة من نفع العباد وقمع أهل الفساد مُظْهِراً معالم الشريعة متمسكاً بأوثق ذريعة مع التقوىٰ والورع والحلم والعلم والاستقامة والسداد إلىٰ أن دعاه رب العباد، وقد ترجمه ابنه العلامة عبد الله والحبيب عيدروس بن عمر الحبشي في العِقد وسيدي العم أحمد بن عبد الرحمٰن السقاف، وتوفي في خامس شهر رمضان سنة ١٢٩٠ تسعين ومائتين وألف بسيؤن رحمه الله ونفعنا به.

وقد طلب منه الجد محمد بن علي عند مسيره إلىٰ الشحر الوصية والإجازة فكتب له ذلك، ومع الأسف قد ضاع أولها وآخرها وهذا الموجود لدينا:

قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ مما هو مجمع علىٰ حقارته وخسّته، والصلاة والسلام علىٰ نبيه الذي اصطفاه من صفوته، محمد وآله وصحبه وعترته، أكرم من ساروا في أقاليم الأرض فعمروها وبهاطل بركتهم غمروها ناشرين ألْوية دعوته لإحياء شريعته وسنته، وبعد:

فقد طلب مني الولد الحبيب والحميم القَريب العَلَم الأريبَ الندب النجيب محمد بن علي بن علوي مع عزمه علىٰ السفر إلىٰ البندر، لإحياء ما دثر وشغر، من العلم الذي هوديدن كل ندب أبر وألمعي أغر، ولنشر الدعوة إلىٰ سبيل ربه بالحكمة للخاصة والموعظة الحسنة للعامة والمجادلة بالتي هي أحسن للمبتدعة، وسألني مع ذلك العزم المبارك إن شاء الله تعالىٰ أن

أوصيه وأذكّره وأذاكره بما عندي من التذكرة، عملاً بما في سورة العصر من التواصي بالحق والصبر، فأجبته إلىٰ ذلك المقصد اِعتماداً علىٰ حُسن ظنه بي وكمال المشهد. شعراً:

والمرءُ إن يعتقد شيئاً وليس كما يظنـه لـم يَخِـب والله يعطيـهِ

ولستُ أهلاً لما طلب مني من ذلك المطلب، لكن سلوك طريق الأدب عند أهله أولىٰ وأحب: فأوصي عزيزي ونفسي وكل أخ في الله ولله بتقوىٰ الله الذي لا موجود ولا معبود ولا مقصود ولا مشهود سواه، فإن تقواه سُلّم كل سيادة وسعادة، وذريعة إلىٰ كل خير وزيادة، وهي وصية الله رب العالمين لكافة الخلق أجمعين، وحَدّها الجامع لأصلها: الاِتيان لما به الله أمر والانزجار عن ما عنه زجر، والأخذ لما أتى به الرسول والترك لما نهىٰ عنه.

وعليك أيضاً بإخلاص النية والقصد في كل ما تقصد وترصد، وإخلاص العمل لله الذي تعبد ناوياً بوجهتك هذه إلىٰ الله عز وجل، قاصداً بذلك نفع عباده في بلاده، ثم بصرف نفائس الأوقات في وظائف العبادات والاِتيان بها مع الإحسان والإخبات، ثم بنشر العلم وتعليمه كل طالب راغب فيه، مع الملاطفة للطالبين والرفق بهم والرحمة واللين، والسياسة حالة التقرير لهم والتلقين، مع نشر الدعوة إلىٰ سبيل رب العالمين، متحققاً متخلقاً بالشفقة علىٰ المسلمين، واستعمال المداراة لهم من غير مُخِلٍ بالدين، والمصابرة والمرابطة في كل وقت وحين، وذلك عادة سلفك الصالحين من سادتنا العلويين، فلا يخفىٰ ما لهم من الحظ الأوفىٰ والقدح المعلّىٰ الأصفىٰ في هذا الشان، من الدعوة إلىٰ الله بالجنان واللسان، كما قال قائلهم:

لهم هِمّة في دعوةِ الخلق جملةً إلـىٰ الله عـن صـدقٍ وقصـدٍ ونيـةِ

فٱسلك ما سلكوه تدرك بعون الله ما أدركوه، وبهديهم فٱقتد تُفْلِح إن شاء الله وتسعد ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾ .

ومن تشبّه بقومٍ فهو منهم، وإن بَعُدَت حقيقته عنهم، فَهُم هُمُ القوم لا يشقىٰ بهم جليسهم، ولا يبعد عنهم محبهم وأنيسهم شعراً.

أولئك قومٌ قد هدىٰ الله فاقتدِ بهم واستقم وٱلزم ولا تتلفتِ
ولا تعدُ عنهم إنهم مطلع الهدىٰ وهُم بَلّغُوا عِلم الكتاب وسنةِ

رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه، رجال ما زاغوا عن إياك نعبد حتىٰ اجتباهم إليه وقرّبهم زلفاً لديه، فهم المعنيّون بما قيل في حقهم:

إن لله عباداً فُطَنا طلّقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا أنها ليست لحيٍ وطنا
جعلوها لجّةً واتخذوا صالح الأعمال فيها سُفُنا

غيره:

قومٌ إذا أرخى الظلام ستوره لم تُلفِهم رهن الوِطا والمضجعِ
بل تلقهم عُمُدَ المحارب قُوّما لله أكرِم بالسجود الركّعِ

نفعنا الله ببركتهم ولا حَرَمنا صالح دعواتهم، وجَعَلنا ممن شَمِلَه قوله: ﴿ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ ﴾ فما معنا ولا لنا ولا عندنا إلا الرجاء في الله عز وجل والطمع في شفاعة رسوله المفضل وحسن الظن في أوليائه وكل من ساعده ووالاه.

هذا حبيبي ولا تحتاج إلىٰ تذكير في الدعاء للفقير الحقير ثم لسائر المسلمين من صغير وكبير، فدعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب مستجاب بلا شك ولا ريب، وكذلك ذَكِّرْ بالدعاء لنا ولهم أهلَ الخير والصلاح بالفرج العاجل واللطف القريب الشامل مما نحن فيه وعليه من الهرج والمرج والعرج

والعِوج والفتن والمِحن التي صيّرت الحليم حيران والحكيم ولهان، وما سببها إلا الذنوب ومخالفة علام الغيوب، وقُبْح الأفعال وفساد الأعمال وخُبث الأقوال والأموال، لهذا صارت هي العمّال، ولا حول ولا قوة إلا بالله. انتهىٰ الموجود من هذه الوصية، وقد سبقت من صاحب الترجمة وصية أيضاً منظومة أوائل هذا الكتاب. انتهىٰ ما أردنا نقله من ترجمة سيدنا محسن بن علوي رضي الله عنه ونفعنا به.

ومنهم العلامة الكبير اللّوذعي، أحد العلماء العاملين والأئمة المجتهدين الراسخين، مربّي المريدين عفيف الدين عبد الله بن أحمد بن عبد الله باسودان الدوعني، ولد نفع الله به ببادية وادي دوعن، وشبّ ونشأ بالخريبة، وقرأ القرآن علىٰ غاية الإتقان، وتربىٰ تحت حِجر الكُرماء، ثم طلب العلم وسعىٰ في تحصيله ودأب، وأخذه عن أكابر عصره مع احترام وأدب، فممن أخذ عنهم ما ذكره في بعض إجازاته لبعضهم بعد ذكر السادة العلويين، كما في العِقْد، قال: وقد اتصلت واجتمعت وانتفعت وارتفعت بكثير من أئمتهم وأعيانهم ممن يَربوا الإيمان في قلب الناظر إليهم من حقيقة إيمانهم، فذكر منهم: الحبيب الغوث عمر بن عبد الرحمٰن ابن الحبيب عمر بن عبد الرحمٰن البار، وأخيه الحبيب العارف بالله عيدروس بن عبد الرحمٰن البار، والشيخ العلامة عبد الله بن أحمد بافارس باقيس، والعلامة الجليل أحمد بن حسن الحداد وابنه العارف عمر بن أحمد الحداد، والحبيب العارف الحامد بن عمر حامد وابنه الوجيه عبد الرحمٰن حامد، وشجاع الدين الحبيب عمر بن سقاف بن محمد، وغير هؤلاء ممن ذَكَرهم وأطال في عدّهم.

ولما ارتوىٰ من رحيق هؤلاء تصدّر للإفتاء والتدريس، فأبدىٰ ما يُبهر الألباب ولم يكن في حساب، وكان متسعاً في علوم الشريعة والطريقة والحقيقة، وله اليد الطولىٰ في التآليف العديدة والإفتاءات المفيدة وإرشاد

الخلق وإفادة الطالبين مع كثرتهم واختلاف أجناسهم، ولا يزال الوافد إليه من كل ناحية منيخاً ببابه عاكفاً بأعتابه حتىٰ كَثُر عنه المتلقون والآخذون من العلماء الأعلام، مثل سيدي الجد محمد بن علي والحبيب عيدروس بن عمر الحبشي وابنه الجمال محمد والعلامة حسن بن فارس باقيس وغيرهم مما لا يمكن حصرهم ولا عدّهم.

وكان رضي الله عنه محباً لأهل البيت النبوي فانياً فيهم لا سيما السادة العلويين، حَسَن المشهد فيهم وفي غيرهم، وقد قال العلامة سيدي أحمد بن حسن العطاس: إن الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان كان ممن نفع الله به وبكتبه بسبب محبته للسادة العلويين وانطوائه فيهم.. أو ما هذا معناه، وكان ملازماً للاستقامة والورع والزهد ومحبة الأولياء والعلماء وكثرة العبادات والقربات إلىٰ غير ذلك من المعاملة الحسنة مع الخَلق والخالق.

وألّف رضي الله عنه تآليف عديدة وكلها مشحونة بألوان العلوم والمعارف وَوَقَع عليها الإجماع، وقد طلب منه سيدي الجد محمد الوصية والإجازة فأسعفه بمراده وكتب له، ولكن لم أعثر علىٰ أولها ولا آخرها وهذا الموجود:

طلب الإجازة سليل الأماثل العلامة العامل، الداعي إلىٰ العلم والعمل بالنية الصالحة والمقاصد والوسائل، سيدي محمد ابن الحبيب علي بن علوي بن عبد الله السقاف، أمدّه الله بالإخلاص والصدق في العلم والأعمال، والاتباع لجده المصطفىٰ ﷺ في الأقوال والأفعال، ولسلفه آل أبي علوي الذين صَفَت طرائقهم عن الحيف والإعلال، وعَلَت حقائقهم عن أن يبلغها أحد أو ينال، بل هي طريقة خاصه من بين الطرائق بالرفعة والكمال، رضي الله عنهم وأرضاهم ونفعنا بما اتصفوا به في سرِّهم ونجواهم، فأقول:

قد أجزت سيدي وحبيبي في كل ما توجّه إليه واشتغل به من العلم والعمل كَثُر أو قَلْ، والإقبال علىٰ الله عز وجل، وأوصيه بتقوىٰ رب

العالمين التي أوصىٰ بها الأولين والآخرين، وشَرْحها وبيانها وإجمالها وفرضها ومسنونها مشهور وفي الكتاب وتصانيف الأئمة مذكور، كما أجازني وأوصاني بذلك جملة من مشايخي آل أبي علوي وغيرهم ممن ذكرت اسماءهم في كتابي «فيض الأسرار» شرح قصيدة سيدي المتفنن في علوم الكتاب والسنة و الآثار الحبيب عمر بن عبد الرحمٰن ابن الشيخ القطب الحبيب عمر بن عبد الرحمٰن البار، نفعنا الله بهم وبسلفهم، هذا ما تيسر إيراده مع القصور والتقصير ولولا امتثال أمر سيدي. . انتهىٰ الموجود من وصية الشيخ العلامة عبد الله بن أحمد با سودان.

ولم يزل رضي الله عنه يفيد الطالبين ويرشد الحائرين ملجأً للأنام وعمدةً في الأحكام إلىٰ أن وافاه الحِمام فتوفي وقت السحر لسبع مضت من جمادىٰ الأولىٰ سنة ١٢٦٦ ست وستين ومائتينِ وألف، ثم خلفه ابنه العلامة الجليل ذو الخلق الكريم والهدي والقويم، الجمال محمد بن عبد الله باسودان، بعد أن اقتبس من أبيه وقطف من أزهاره وصدر من بحره وارتوىٰ من نهره، وانتفع بغيره من أكابر العلماء العارفين مثل: العلامة عمر بن أبي بكر الحداد «صاحب قيدون»، والفهامة عبد الله بن حسين بلفقيه، والعلامة عبد الله بن حسين بن طاهر وغيرهم، ثم أقام دروس العلم النافع وقَصَده للأخذ عنه والتلقي عنه كل قريب وشاسع، فأخذ عنه الكثير وصَحِبه الجم الغفير، فأفاد وأحيا ذلك الواد، وألّف تآليف عديدة مفيده، ولم يزل مفيداً للطالبين ناهجاً سبيل سيد المرسلين مع الاستقامة والورع وملازمة السنن وسلوك المنهج العلمي والطريقة العلوية، والمحبة الكاملة لأهل البيت النبوي إلىٰ أن وافاه الأجل بمدينة الخريبة سنة ١٢٨١ إحدىٰ وثمانين ومائتين وألف، ودفن بجوار والده داخل قبته، وقد زرتمها ولله الحمد بمعية شيخنا محمد بن هادي السقاف حين مررنا بوادي دوعن مع سفرنا إلىٰ مصر وبيت المقدس سنة ١٣٤٣.

وقد حصلت من الشيخ محمد المذكور الوصية والإجازة للعمين حسن وعلي والوالد سالم وغيرهم ممن صرّح بأسمائهم فيها بالتِمَاس وطَلَبْ من الجد محمد بن علي لما وَرَد بهم ذلك المنهل العذب، وهي هذه:

بسم الله الرحمٰن الرحيم، الحمد لله الذي جعل حُسن الظن صفة أرباب القلوب السليمة، وخصّهم بمحبته وبعنايته القديمة، وتخلقوا بتوفيقه بالأخلاق الكريمة، وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا محمد المخصوص بالمقام المحمود والشفاعة العظيمة، وعلىٰ آله واصحابه والتابعين لهم في أحوالهم المستقيمة. وبعد: فقد تفضّل الله تعالىٰ علينا بوصول سيدنا العلامة المحقق نخبة الأشراف الحبيب محمد بن علي بن علوي بن عبد الله السقاف باعلوي وصُحبته أولاده حسن وعلي وسالم وجماعة من السادة وهم: علوي بن سقاف ومحمد بن عمر الجفري وسقاف بن أحمد بن طه وشيخ بن سقاف ومحمد بن علي بن شيخ وعبد الله بن محمد ومحبهم طه بن عبد القادر بارجاء، حفظهم الله بحفظه، وحصَلَ بِمَقْدَمِهم الأنس للخاص والعام، ولما زاروا وعزموا علىٰ الرجوع إلىٰ وطنهم ومحل المقام طَلَب سيدنا الحبيب محمد لهم الإجازة من الفقير القاصر، الذي لا يستحق أن يُجَاز فكيف أن يجيز، ولكن أمر سيده الحبيب محمد عليه ثقيل عزيز، فامتثلتُ أمره مع الاعتراف بالتقصير، ولا يغني ذلك شيئاً عند اللطيف الخبير، فأقول نائباً عن مشايخي الأئمة الأعلام:

قد أجزت سادتي المذكورين الفضلاء الفخام في جميع ما تجوز لي روايته وصحّت مني درايته، من علوم المعقول والمنقول والفروع والأصول والتذكّر والتذكير والإفادة والاستفادة والتعلّم والتعليم وإرشاد العباد والمحافظة علىٰ مدارسة العلم والأذكار والأوراد والنفع والانتفاع حسب المستطاع، وأنا في ذلك نائب عن مشايخي الأئمة هداة الأمة، وأوّلهم

وأحقهم بالذكر والتقديم والتخصيص والتعميم: سيدي وشيخي ووالدي الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان المقدادي نسباً الشافعي مذهباً العلوي طريقةً ومشرباً، أذ جُلُّ أشياخه من السادة العلويين، وعمدته أكبرهم وأكثرهم به عناية سيدنا الإمام المتفنن في العلوم العارف بالله تعالىٰ الحبيب عمر بن عبد الرحمٰن ابن الشيخ القطب الحبيب عمر بن عبد الرحمٰن البار باعلوي رحمه الله، وقد ذكر شيخنا الوالد رحمة الله سَنَد الطريقة العلوية وعدَّ مشايخه من السادة وغيرهم في كثير من مصنفاته وفي إجازته لي رحمه الله آمين، فهو يرويها عن شيخه سيدنا الحبيب عمر البار وهو عن شيخه وعمّه العارف بالله تعالىٰ الحبيب حسن وهو عن والده الشيخ عمر البار وهو عن قطب الدوائر وأستاذ الأكابر الشيخ الكبير القطب الشهير عبد الله بن علوي ابن محمد الحداد باعلوي نفعنا الله بهم آمين، ويرويها أيضاً والدي رحمه الله عن شيخه العارف بالله تعالىٰ عن الحبيب جعفر بن محمد العطاس وهو عن شيخه الإمام الحبيب علي بن حسن العطاس وهو عن شيخه الحسين بن عمر ابن عبد الرحمٰن العطاس عن والده رأس الأولياء وإمام الأصفياء الحبيب عمر العطاس المذكور، ويرويها أيضاً عن شيخه العارف بالله الحبيب عمر ابن الإمام الحبيب سقاف عن والده، وسيدنا الوالد وسيدنا الحبيب عمر بن سقاف عن شيخهما الإمام الحبيب حامد بن عمر حامد باعلوي التريمي، وسيدنا الحبيب سقاف وسيدنا الحبيب حامد عن شيخيهما مجمع بحري الشريعة والحقيقة وعمدة أهل الطريقة علامة الدنيا في عصره الحبيب عبد الرحمٰن بن عبد الله بلفقيه علوي، وذُكِر سند سيدنا الحبيب عبد الرحمٰن بلفقيه باعلوي المذكور ومشايخه من الحضرميين واليمنيين والشاميين وغيرهم في كتابه «رفع الأستار» وتعداد شيوخهم وطرقهم واتصالاتهم ما لا يسعه مسطور، وممن أخذ عنهم أرباب الأثبات الشهيرة، فقد أخذ عن الملاّ الإمام الشيخ

إبراهيم بن حسن الكردي الشهير بالكوراني ثم المدني، وثَبَتُه معروف مشهور سماه «الأمم لإيقاظ الهمم»، والشيخ السند الرحالة الحسن بن علي العجمي المكي الحنفي، وثَبَتُه أيضاً سماه «كفاية المطّلع لما ظهر وخفي»، والشيخ الإمام المسند القدوة عبد الله بن سالم البصري المكي، وثَبَتُه الذي صنّفه ولده سالم سمّاه «الإمداد بعلوّ الإسناد»، والشيخ الإمام أحمد بن محمد النخلي المكي، وهؤلاء أخذوا عن العلامة عبد العزيز الزمزمي والعارف بالله المحقق الشيخ أحمد بن محمد القشاشي المدني والشيخ محمد بن العِجل اليمني، وهم عن الشيخ ابن حجر المكي والشيخ محمد بن أحمد الرملي والشيخ محمد الخطيب الشربيني والشيخ الوجيه عبد الرحمٰن بن عبدالكريم ابن زياد اليمني، وهم أخذوا عن شيخ الإسلام زكريا بن محمد الأنصاري والحافظ عبد الرحمٰن بن علي الدّيبع الشيباني، وهو عن شيخه الحافظ محمد بن عبد الرحمٰن السخاوي، وهو وزكريا عن شيخيهما الحافظ أبي الفضل أمير المؤمنين في الحديث أحمد بن علي بن حجر العسقلاني رحمه الله تعالىٰ.

وذكر شيخنا في الإجازة المتقدم ذكرها عدداً من الأسانيد العوالي، ولي ولشيخي مشايخ كثيرون مذكورون في غير هذه الأسطر، ومن أشياخي من أهل اليمن: السيدان الإمامان سيدي السَّند مفتي مدينة زبيد بل قطر اليمن بأسره السيد العلامة الفهامة عبد الرحمٰن بن سليمان بن يحيىٰ بن عمر مقبول الأهدل، وسيدي السند المتفنن الإمام المتقن يوسف بن محمد بن يحيىٰ بن أبي بكر بن علي البَطَّاح الأهدل، ولهما عدة من المشايخ وأكبرهم محدث الديار اليمنية السيد الإمام مفتي الأنام سليمان بن يحيىٰ بن عمر مقبول الأهدل، وهو عن شيخه وخاله السيد السند عماد الدين يحيىٰ بن عمر مقبول الأهدل رحمه الله، عن شيخه السيد العلامة أبي بكر بن علي البَطَّاح الأهدل،

عن شيخه وعمّه السيد يوسف بن محمد البطّاح الأهدل، عن شيخه السيد العَلَم الطاهر بن الحسين الأهدل، عن شيخه الحافظ الدَّيبع، عن شيخه الحافظ السخاوي، عن شيخه الحافظ أبي الفضل بن حجر العسقلاني رحمه الله تعالىٰ، وقد أخذ السيد يحيىٰ بن عمر مقبول الأهدل عن شيخيه الإمامين أحمد بن محمد النخلي وعبد الله بن سالم البصري المكيين وشيخه المُجمع علىٰ نُبله وفضله أحمد بن محمد النخلي، ثلاثتهم عن حافظ عصره الشيخ محمد بن علاء الدين البابلي عن السنهوري عن الغيطي عن القاضي زكريا عن الحافظ ابن حجر العسقلاني.

ومن أشياخي من أهل الحرمين الشريفين الشيخان الإمامان القدوتان سيدي الشيخ المكين مفتي الشافعية بالبلد الأمين إمام مقام إبراهيم الخليل العلامة الفهامة الشيخ محمد صالح ابن الإمام الشيخ إبراهيم بن محمد الريّس الزمزمي الزبيري رحمه الله تعالىٰ، وسيدي الشيخ الجامع لعلوم المنقول والمعقول والولاية والأسرار عمر بن عبد الكريم بن عبد الرسول العطار رحمه الله، وهما قد أخذا عن أئمة جملة وأعلام أجِلّه، أكثرهم بهما عناية ولي الله بلا نزاع، وجامع شرفي العلم والنسب بلا دفاع، الشيخ الإمام علي بن عبد البر الحسني الوناني رحمه الله، وأخذ المذكور عن أئمة أعلام أجلّهم العلامة شهاب الدين أحمد بن أحمد جمعة البُجيرمي، وهو عن المعمّر أحمد بن رمضان بن عرام الشافعي الأزهري، عن الشمس البابلي عن الشمس الرملي والعارف بالله عبد الوهاب الشعراني عن شيخ الإسلام زكريا ابن محمد الأنصاري عن الحافظ ابن حجر العسقلاني.

هذا وللفقير في الأمهات الست سَنَدٌ عال عن سيدي وشيخي السيد العلامة محمد بن عيدروس الحبشي علوي رحمه الله ذكره في إجازته لي، وقد أردت إيراد سندها هنا إذ هي دواوين الإسلام وعليها المدار في أدا

الأحكام، ولكني تركت ذلك خوف الإطالة، فمن أراد ذلك فلينقله من الإجازة المذكورة.

وأوصي نفسي وسادتي المذكورين بتقوىٰ الله رب العالمين التي أوصىٰ بها الأولين والآخرين وندب إليها في كتابه المبين، والتحلي بحلية الإنصاف والسلوك علىٰ طريقة الأسلاف من السادة العلويين الأشراف، فإنها الطريقة السّوية والشِّرعة المرضية، ومما استحسنا نقله هنا من كلام سيدنا قدوة العباد وقطب الإرشاد الشيخ الإمام الحبيب عبد الله بن علوي الحداد باعلوي في وصيته لبعض إخوانه، قال رحمه الله: والذي نوصيكم به ملازمة الخشية لله تعالى ومصاحبة التشمير في طاعته ومجانبه الكسل والتقصير، ومباعدة أهل الغفلة والاحتراز منهم إلا عند الابتلاء بمخالطتهم وإقامة حق الله فيهم بالأمر والنهي في محله بلطفٍ وإظهار شفقةٍ وتأنٍ بهم، إن لم يقبل منك اليوم فعسىٰ غداً أو بعد غد، فإن ظهر لك إصرارهم وعدم ميلهم إلىٰ إقامة الحق الذي عليهم فارفضهم إلىٰ النار، أعني من هذا وصفه وهو الإصرار علىٰ مخالفة أمر الله وإضاعة الحقوق من غير مبالاة، واحفظ نفسك من ركوب التأويلات وإيثار الرُّخَص والدخول فيما تعلم أنه ليس من شأن أهل الطريق ويعتمد علىٰ التوبة والتلافي والاعتراف بالتقصير، فإن ذلك لا يغني شيئاً وليس من شأن أهل الحزم، وكلامنا هذا يتوجه عليك إن كنت تحب أن تلتحق برجال الله، وإن اخترت أن تكون في عامة المسلمين وأوساطهم فالحق واسع، فاحتفظ بهذه الوصية وتمسّك بها فطالما التمستَها منّا فلم يسمح بها الوقت إلاّ الآن، وهي وصيتنا لأنفسنا وجميع إخواننا، ولا تنسونا من دعائكم.

ومن كلامه نفعنا به أيضاً: والذي نشير عليكم به الآن الإقامة علىٰ تدريس العلوم الفقهية التي هي فرض عين أو فرض كفاية، فإنه قد قلَّ في

هذه الأيام الذين نَصَبوا أنفسهم للإفادة والاستفادة مع كمال الأهلية وإخلاص القصد والنية لله رب البرية، ثم لا تتجردوا بالكلية لمثل ذلك حتىٰ تجعلوا لأنفسكم خبيئة من ذكر الله في دوام الأوقات بالقلب أو باللسان أو بهما معاً، وخصوصاً في الأوقات الخالية عن الاشتغال والانكبَاب علىٰ الإفادة والاستفادة، وطالعوا مع ذلك شيئاً من كتب حجة الإسلام مثل البداية والأربعين. انتهىٰ الموجود من الوصية.

وممن أجاز سيدي الجد محمد وأخذ عنه السيد العلامة الشريف العفيف صاحب الكرامات والأحوال محمد بن عبد الباري الأهدل، كان هذا السيد إماماً عالماً شَرَح المتممة في النحو، وذكره السيد علي بن سالم بن الشيخ أبي بكر بن سالم فقال: شهرته تغني عن مدحه، وكان من أقطاب اليمن في عصره وتَرِدُ عليه الزوّار من كل مكان. . إلىٰ آخر ما قال، وكان عظيم الحال، ذكر الحبيب علي بن محمد الحبشي قال: لما قَدِمنا علىٰ السيد محمد المذكور قَرَّبَ لنا جفنة واحدة فيها بُر وعسل وموز، فأكلت منها أنا ومن معي ولم ينقص منها شيء، ثم أتىٰ بعدنا أُناس فأكلوا منها ولم ينقص منها شيء، ثم أتىٰ بعدهم غيرهم وأكلوا منها ولم ينقص منها شيء وبقيت ملآنه، وهذه كرامة كبيرة نظرناها بعيوننا، ثم قال الحبيب علي: جاءتني حمّىٰ شديدة فقلت للسيد محمد: الكرامة من عندكم إلاّ حمىٰ؟ فقال لي: شَايُعَافيك الله، فما فرغ من كلمته إلا وقد زالت الحمىٰ، ثم عزمنا علىٰ السفر في ساعيه وإذا بسحاب مُدْلَهِمْ فقلت: هيا يا سيدي محمد عزمنا علىٰ السفر والسحاب مدلهم، فقال: شايحفظكم الله، ثم توجهنا وسافرنا والسماء تمطر حوالينا ولم يُصِبنا المطر حتىٰ وصلنا المقصد، وأخبرني سيدي أحمد بن عبد الرحمٰن السقاف أن السيد محمد بن عبد الله الباري المذكور يقول: فينا المُحَدِّث والمُحَدَّث، أما المحدِّث فأبي وأما المحدَّث فعمي أو العكس، ولما حج

الجد محمد بن علي ومَرَّ علىٰ السيد محمد المذكور طلب منه الإجازة فكتب له ما صورته:

بسم الله الرحمٰن الرحيم، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم (وبعد) فإن السيد الفاضل محمد بن علي السقاف العلوي عافاه الله آمين، طَلَب مني إجازة في ذِكر، أقول:

أجزته في قراءة: حسبنا الله ونِعم الوكيل «أربعمائة وخمسين مرة» بعد صلاة العشاء كل ليلة، وفي تلاوتها تفريج كُرب الدنيا والآخرة، وإن له حاجة إلىٰ الله سبحانه يختلي في محل وحده بعد صلاة العشاء ويقرأ هذا الذكر علىٰ نية قضاء حاجته في محل واحد وتُقضىٰ إن شاء الله حوائجه، فَتَح الله عليّ وعليه فتوح العارفين وسَهّل لنا وله الطريق إلىٰ الملك المعين، واستمِد منه الدعاء بِحُسن الختام والسلام. قال ذلك: محمد بن عبد الباري الأهدل. انتهىٰ ما وجدناه من وصايا مشايخه له.

وأما الآخذون عنه الذين حصلت لهم منه الإجازة والوصية فكثير، منهم أولاده المَار ذِكرهم، ومنهم العلامة السيد سامي الجناب الغني عن المدح والإطناب، بحر المعارف ومجمع اللطائف، المتفنن في العلوم، مَن علىٰ السَّنَن القويم يمشي، شيخان بن محمد بن شيخان الحبشي، ولد نفع الله به في بلد الغرفة ونشأ بها وقرأ القرآن علىٰ غاية الإتقان، ثم أكبّ علىٰ طلب العلوم بهمّة قوية وعزم جازم، فأخذه عن مشايخ أجلّاء لا يحصَون، مِنهم العلامة السيد عبد الله بن حسن بن عبد الله الحداد، والعالم المتبحر أحمد ابن زيني دحلان، والشيخ عبد الحميد الشرواني «مُحشي التحفة»، والشيخ أحمد الدهان بن أسعد كما رأيته بخطه فإنه قال: حصل الابتداء في قراءة هذا الكتاب المشهور بمُلاّ جامي علىٰ الكافية في يوم الأحد ١٨ شعبان سنة ١٢٨٤ بمكة المشرفة علىٰ شيخنا الفاضل أحمد الدهان بن أسعد، نحن

وجملة من الإخوان، رزَق الله الجميع فَهْمَ معانيه وأوضح لكل مبانيه. كتبه أحقر كل إنسان: شيخان بن محمد بن شيخان الحبشي علوي.

وغير هؤلاء ممن أكثَر لديهم من الترداد حتىٰ ظفر بالمراد، وأخذ عنه الكثير والجم الغفير، منهم سيدي العلامة أحمد بن عبد الرحمٰن السقاف وشيخنا العلامة محمد بن هادي بن حسن السقاف، قال قرأت عليه شرح ابن قاسم علي أبي شجاع والشيخ خالد علىٰ الأزهرية وكتاب آخر في النحو لبعض الأهادلة شرحاً ومتناً وأيساغوجي في علم المنطق، وقبل القراءة عليه شرط عليَّ أن لا أَلِيَ القضاء، ومنهم الشيخ الفاضل عوض بن بكران صبان وقد وُلّي هذا الشيخ قضاء سيئون بمعية غيره، وكان رجلاً فاضلاً ذا أناةٍ وعقلٍ وعلمٍ وفضل، توفي سنة ١٢٤٣ بسيؤن.

وكان الحبيب شيخان بن محمد جامعاً للفضائل متقللاً من الدنيا زاهداً فيها وفي رئاستها محذّراً من غوائلها محباً للعلم وأهله مُجِدّاً في تحصيلة حتىٰ آخر عمره، قال سيدي محمد بن هادي: دخلت عليه في مرض موته اعُوده فوجدته جالساً والكتب حواليه كالسُّور عليه، ويطالع حينئذٍ في تفسير الخطيب والجلالين وفي كتب أخرىٰ فِقه وغيره، وهو مع ذلك في شدة المرض حتى إن قدميه قد تورّمتا من شدة المرض وطول القيام، وقال سيدي محمد أيضاً: كنت عنده ذات يوم اقرأ عليه، فقال له أهل بيته ليس معنا عشاء هذه الليلة، وكان ابنه محمد حاضراً فأعطاه ريالاً وأمره يشتري به طعاماً، فلم نلبث يسيراً حتىٰ دخل علينا رجل غريب ومعه كتب للبيع، فتصفّح الكتب فأعجبه منها كتاب، فساوَمَ الرجل حتىٰ اشتراه بِست أواق، ثم أرسل لابنه محمد حالاً وأمره أن يشتري الطعام بأوقية ونصف فقط وهي خُمُسُ الريال والباقي يرجعه قيمة الكتاب، ثم إن الحبيب شيخان سُرَّ بذلك كثيراً

وقال: الحمد لله حَصَل الكتاب والعَشَاء، فلو امتنع صاحبه وطلب الريال كله لأخذنا الكتاب وبقينا هذه الليلة بلا عشاء.

وكان رضي الله عنه محباً للعلماء محبوباً لديهم، كان الحبيب عيدروس ابن عمر الحبشي يقدمه إماماً في الصلوات، وكانت بينه وبين الحبيب علي ابن محمد الحبشي محبة ومكاتبات، وله منظومة في علم النحو وديوان شعر، فمن شعره:

مِن مَربع الأبرار والفضلاء ... أهدي السلام لجيرة البطحاءِ
حياهم الرحمٰن دأباً سرمدا ... بتتابع الرحمات والأنواءِ
فلقد قَلِقْتُ لِبُعدِ جسمي عنهمُ ... قَلَقاً أثار النار في الأحشاءِ
وأذابَ للجسمِ البعاد وأكسب الـ ... ـوجد الفؤاد وشدة البرحاءِ
يا حسرتي من بُعدِهم يا لوعتي ... مِن فرقة الأعلام والنبلاءِ

ولم يزل نفع الله به متمسكاً بالعلم والتقوىٰ والسيرة المرضية إلىٰ أن وافته المَنية سنة ١٣١٣ ثلاث عشرة وثلاثمائة وألف، ودفن بسيؤن في عَلَم بن بدر قريباً من بيته، وبنيت علىٰ ضريحه قبة رحمه الله ونفعنا به.

وكان له الأخذ التام من الجد محمد، فمن مكاتبة له من الجد محمد يَصِف فيها جدّ الحبيب شيخان يقول: وقد اجتمعت بجدك شيخان وهو الحبيب شيخان بن محمد في بلد العصلة وقرأت عليه في تفريح القلوب للحبيب عمر بن سقاف وتطرقه الدهشة والغَيبة ويغيب عن الكون حتىٰ يَسأل جليسه من عندي، ومن عادته يخرج بكرة النهار إلىٰ السوق يسأل عن مدخول البلد وعن الأسعار رحمة بعباد الله، وقد ينام ويرجع إلىٰ البيت ويصلي الظهر في البيت، وبعد الظهر يتلو كتاب الله والمصحف علىٰ الرحل يستمع له مَنْ عنده، ويصلي العصر في المسجد، وغالب المدة قدر جلوسنا

في العصله نصلي معه، ويأخذ بيدي ذهاباً وإياباً حتىٰ حفظت حزب البحر من قراءته ودعاء يأتي به بعد سُنّة العصر وهو: إلٰهي تمَّ نورك فهديت. . الخ، وله مكاشفات فكاشفني مرة بخاطر خَطَر لي: تأخَّر بصلاة العصر فبادرت بالصلاة وهو يتوضأ ثم بعد الخروج من المسجد قال: قال النبي ﷺ «إنكم في زمان مَن ترك العمل بِعُشْرِ ما عَلِم هَلَك وسيأتي زمان من عَمِل بِعُشر ما عَلِم نجىٰ» أو كما قال وأستغفر الله. هذا ما حضرني وأرجو عائدة بركة مجالسهم والاجتماع بهم في حياتي وبعد مماتي، وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه.

وقد طلب من الجد محمد الوصية والإجازة فكتب: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى﴾ الحمد لله الذي شرح صدور أوليائه بنور الإيمان والإيقان، ونوّر قلوبهم لِمَا اجتباهم به من مقام الإحسان، فشُغِفوا بحُبِّه فآنسهم بِقُربه في سائر الأحيان، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد رسوله وعبده وعلىٰ آله وصحبه من بعده، وبعد:

فقد طلب مني الوصية والإجازة السيد المنيب العلامة العامل شيخان بن محمد بن شيخان الحبشي علوي نفعنا الله به وبسلفه، حُسْنُ ظنٍ منه بالفقير الحقير الجدير بأن يُوصىٰ لِمَا هو عليه من التضييع والتقصير، فأجبته لِمَا طلب رجاء دعوة مقبولة بظهر الغيب تنقل الحقير من ذلّ المعصية إلىٰ عزّ الطاعة لِمَا ورد «دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب مستجاب».

فأوصيه ونفسي وأولاده وأولادي وسائر أهل الإيمان بتقوىٰ الله، التي هي العروة الوثقى والمَحَجّة البيضاء، المبلِّغة لمن تمسَّك بها إلىٰ خيري الدنيا والآخرة، قال الله تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، وهي مشروحة في الكتاب والسنة، وهي في متابعة الرسول ﷺ، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾، فعليك يا أخي بهديه

وبهدي سلفنا الصالح المتمسكين بسنَّته، وعليك بنشر العلم وتعليمه وبحفظ الوقت به، وبذكر الله بأنواعه، وبالصلاة أول الوقت وفي الجماعة، وبالاعتماد علىٰ فضل الله ورؤية التقصير في العمل، وبصدق التوكل علىٰ الله والثقة به، وكثرة الاستغفار والصلاة على النبي المختار آناء الليل والنهار، وبلزوم الافتقار تحظىٰ بالأنوار وفيض الأسرار.

وأجزت أخي وأولاده في كل ما صحَّت لي الإجازة فيه وأجازني فيه مشايخي، وفي نشر العلم وتعليمه والعمل به والتذكير والمذاكرة وفي الأذكار، وادع لي ولأولادي فإني مقصّر في العمل فيما عهدته إليك في هذه الوريقة، وأستغفر الله من قولٍ بلا عمل فقد قيل:

يـا أيهـا الـرجـلُ المعلِّـمُ غيـرَه　　هــلاّ لنفســك كــان ذا التعليــمُ

ونسأل الله التوفيق والهداية ونعوذ به من الزيغ والغواية، اللهم يا موفق أهل الخير للخير ومُعينهم عليه وفقنا للخير وأعنّا عليه، اللهم آمنن علينا بصفاء المعرفة، وهَبْ لنا تصحيح المعاملة فيما بيننا وبينك، وارزقنا صدق التوكل عليك وحُسن الظن بك، وآمنن علينا بكل ما يقربنا إليك مقروناً بالعافية في الدارين.. آمين، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين. أملىٰ ذلك الفقير إلىٰ الله: محمد بن علي السقاف سامحه الله، يوم الجمعة وثلاث عشر من المحرم سنة ١٣٠٠ ثلاثمائة وألف.

ومنهم السيد الجليل صاحب الأخلاق السَّنية والسيرة المرضية، القانت الخاشع العالم المتواضع، عبد القادر بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن قطبان، شَهِدَ له سيدي أحمد بن عبد الرحمٰن بالمعرفة، وأثنىٰ عليه الحبيب علي بن محمد الحبشي، وعدَّه السيد العلامة محمد بن حسن عديد الشيخ الخامس بعد المائة من مشايخه وأنه أخذ عنه وألبسه وأجازه وصافحه، وأنه لما زاره مرة هو والسيد الجليل حسين بن أحمد الكاف قال لهما: إني رأيت

البارحة سيدنا المهاجر أحمد بن عيسىٰ جاء إليَّ هو واثنان من تريم فالآن تبيَّنت لي الرؤيا فالإثنان أنتما، ثم قال السيد محمد بن حسن: وله مرائي كثيرة وكشوفات مشهورة، ولم يزل علىٰ تلك الكشوفات والتلقي من حضرة ذي العطيات الجزيلات إلىٰ أن انتقل إلىٰ رحمة الله. انتهىٰ.

وكان جدّه الحبيب محمد بن عبد الله شيخ الجد محمد بن علي، أَخَذَ عنه الأخذ التام، وقد سبق أول الكتاب أنه قال: ما عاتبني أحد من مشايخي بعد موته إلا اثنان، أحدهما شيخه محمد هذا فإنه عاتبه علىٰ عدم مجيئه إلىٰ زاوية مسجد السلطان، وكان شيخه محمد المذكور يدرِّس بها أيام حياته، فرجع الجد محمد يجلس للتدريس بها يوم السبت.

ثم إن الحبيب عبد القادر اِقتنى كتباً كثيرة من الكتب المشهورة، وكان متجرداً للعبادة والطاعة، ملازماً للعارفين محباً لهم مجبوباً لديهم، مشتغلاً بالأذكار والأوراد، إلىٰ أن دعاه رب العباد وتوفي سنة ١٣٣٠ ثلاثين وثلاثمائة وألف، وصلىٰ عليه الحبيب علي بن محمد الحبشي في جمع حاشد بساحة مسجد السلطان، ودفن بتربة الحبيب علي بن عبد الله السقاف قُرب جدّه محمد المذكور، وقد رثاه الشيخ محمد بن محمد باكثير بمرثية مطلعها:

ما بال دمعك في المحاجر قد جرىٰ ... أبِحَادثٍ منه الفؤاد تفطَّرا؟

إلىٰ أن قال:

أودىٰ الذي فيه الفضائل جمّةٌ ... كم واصلَ الطاعات أوفر أوفرا

ذهبَ الذي فيه الكمال محققٌ ... ولأحسن الأعمال قد جدّ السُّرى

ثم قال:

وسَلِ المساجد والمعابد والمعا ... رف واللطائف والطرائق والسرىٰ

كانت به تلك الأمور قريرة ... منها العيون هدىٰ ومرعىٰ أخضرا

فتـح الإلـٰه عليـه بـاب الاهتـدا حتىٰ تمكّن فيه من أقوىٰ العُرَىٰ
وإلـىٰ العبـادة فـي طـريقـة جـده وهنـاك قـد شَهِـد الجمـال الأكبـرا

وهي طويلة.. وقد طلب الوصية والإجازة من الحبيب العارف بالله الجد محمد بن علي السقاف فكتب له:

بسم الله الرحمٰن الرحيم، وبعد: طلب مني الوصية الولد المنوّر عبد القادر بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن قطبان، وإني لستُ أهلاً لذلك، ولكن لمّا عرفت حُسن ظنه كتبت له هذه الكلمات طلباً لذكره ورغبةً في دعـائـه: أوصـي ولـدي ونفسـي بتقـوىٰ الله التـي وصـىٰ بهـا الله الأوليـن والآخرين، وهي الحرز والكنز والمعتصم لمن تمسّك بها، وهي مشروحة في كتاب الله وسنة رسوله وكُتُب العلماء، وأوصيه بحفظ وقته بأن يصرفه في مذاكرة علم أو مطالعة كتاب أو ذكر لله، وبالمحافظة علىٰ الصلوات في أول وقتها وفي الجماعة مع الحضور والإتيان بكمال السنن والمحافظة علىٰ رواتبها وعلىٰ الوتر فإن ذلك الدّرع الذي لا تقطعه السيوف البواتر، وأوصيه بالاعتماد علىٰ الله والثقة به وقطع النظر عمن سواه من بعيد أو قريب فإن مطلبك يحصل عن قريب، واحذر سيدي كثرة الهَذَيان خصوصاً مع أبناء الزمان والعوام، وأوصيه بالصمت في ساير الأحيان إلا لضرورة.

وأجيز ولدي في درس العلم والتعلّم والتعليم وقراءة الأوراد في المساء والصباح، خصوصاً أوراد القطب الحداد والنووي وحزوب الشاذلية، ويجعل له حظاً من قراءة القرآن والذكر لله في سائر الأحيان، وأوصيه أن لا ينساني وأولادي من الدعاء في كل حال، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. قال ذلك: محمد بن علي بن علوي السقاف.

ومنهم العلامة الفرد ذو الفطرة السليمة والفكرة المستقيمة، خليفة السلف وعمدة الخلف، سيدي أحمد بن عبد الرحمٰن بن علي بن عمر بن

سقاف السقاف العلوي، ولد نفع الله به بسيؤن يوم السبت وتسعة عشر من شهر شعبان سنة ١٢٧٨ ثمان وسبعين ومائتين وألف، وتربىٰ تحت حجر والده الإمام عبد الرحمٰن بن علي وتأدب بآدابه، وقد بُشِّرَ به قبل إيجاده، واقرأه القرآن فختمه في أسرع زمان مع غاية الإتقان، ثم اشتغل بطلب المعارف، فشَرَع عند أبيه فابتدأ عنده أولاً في رسالة الحبيب أحمد بن زين الحبشي التي قلَّ أن يترك الابتداء بها طالب رجاءَ بركة مصنّفها، ثم قرأ عليه كتباً كثيرة من كتب الفقه والتصوف، وما زال والده يرعاه ويوليه برَّ نعماه، ثم أمره بالأخذ عن العلماء العارفين كالحبيب العلامة محمد بن علي والسيد العلامة صافي بن شيخ بن طه والحبيب العلامة علي بن محمد بن حسين الحبشي، فاستمد منهم وبقي يتلقى عن أبيه وعنهم إلىٰ أن توفي والده سنة ١٫٢٩٢ اثنتين وتسعين ومائتين وألف وعمره آنذاك نحو أربع عشرة سنة.

ثم ألقىٰ قياده لمشايخه المذكورين فحطّوا نظرهم عليه وأفرغوا فيه مَصُون سرّهم ومكنون علمهم مما يُضنّ به علىٰ غيره، وتوجه لطلب العلم ودأب في تحصيله في غدوه وأصيله، وهَجَر الكَرَىٰ وواصل السُّرىٰ، ثم طلب المزيد فأخذ عن كثير من صدور العلماء، منهم الإمام صافي السريرة عبد القادر بن حسن السقاف وابنه الجمال محمد، والفقيه الجهبذ القاضي علوي بن عبد الرحمٰن السقاف، والإمامان الأجلّان عبد الله وعبيد الله ابنا الإمام محسن بن علوي السقاف، والعالم العلامة شيخان بن محمد الحبشي، والسيدان الكريمان محمد وعمر ابنا حامد بن عمر السقاف، والفقيه العلامة هادي بن حسن السقاف، وأخَذَ عن العارف بالله أحمد بن حسن العطاس وصَحِبَه بأمر من شيخيه الحبيب محمد بن علي والحبيب علي بن محمد الحبشي، ورافقه في سفره إلىٰ أماكن كثيرة وقرأ عليه كتباً جمّة، وحضر مجالس الحبيب البركة عيدروس بن عمر الحبشي وأجازه ولبس الخرقة منه

ومن غيره من مشايخه، ثم استمد وأخذ عن غير هؤلاء من علماء الجهة، مثل الحبيب العلامة عبد الرحمٰن بن محمد المشهور والحبيب عمر بن حسن الحداد ونور الدين علي بن حسن الحداد والحبيب محمد بن إبراهيم بلفقيه والعابد الناسك عبد الله بن حسن بن صالح البحر والحبيب أحمد بن محمد المحضار والحبيب طاهر بن عمر الحداد، وغير هؤلاء من العلماء الأجلاء ممن يطول عدّهم، فعكف بمغناهم ولازم فِناهم وشَهِد مجالسهم وعرائسهم حتىٰ ارتوىٰ من رحيق كاسهم وسلسبيل راحهم، فصار يبدي من المعارف ما تَكِلّ عن درك معرفته فحول الرجال، وتتضاءل عند سماعه رؤوس الأبطال من أولي المعرفة والكمال، ثم جلس للتدريس في كل عِلم نفيس، فقصده الطالبون وأخذ عنه الراغبون وانتسب إليه وتلقىٰ عنه الكثير من أهل العصر من بلده سيؤن ومن ساير البلدان، فقرؤا عليه تفسيراً وحديثاً وفقهاً وتصوفاً وغير ذلك، وقد حضرتُ مجالسه وحصلتُ منه إجازات خاصة وعامة، ولازمت درسه بعد صلاة الصبح إلىٰ طلوع الشمس بمسجد الحبيب طه بن عمر، فأول ملازمتي لذلك الدرس والقراءة في تفسير الجلالين ثم بعد الفراغ منه قرىء تفسير البيضاوي ثم الجامع الصغير ثم مختصر أبي جمرة ثم الإحياء لحجة الإسلام الغزالي وتوفي والقراءة فيه.

وكان رضي الله عنه آية من آيات الله في قوة الحفظ وسرعة الجواب واستحضار أقاويل العلماء في المذاهب والقراءات وحفظ سِيَر السلف وما لهم من شمائل وأخلاق ووقائع ومواليدهم ووفياتهم، وكان كثير المجاهدات ملازماً للطاعات والقربات مسابقاً للخيرات مع الأخذ بالعزائم والاحتياط والورع، قائماً بالأسحار رحيماً بالمسلمين محباً للمساكين يحضر ولائمهم ويشهد جنائزهم ويعود مرضاهم ولا يترك حقاً لأحد مع أن الحق والفضل يرونه له، يباسط الصغير والكبير والرفيع والوضيع، وقد آتاه الله من الخشية

والسكينة والوقار والهيبة ما لا يوصف، وكان كثير الوعظ والتذكير ناشراً راية الشريعة المحمدية حاملاً لواء الطريقة العلوية داعياً إليها محذراً عن الميل والانحراف عنها، وكان محباً للعلماء وطلبة العلم ويشهد لهم بالفضل ومحبوباً لديهم ومبجلاً عندهم، وللناس فيه خواصهم وعوامهم اعتقاد تام ومشهد حَسَن.

وإذا أحـــبَّ الله يـــومـــاً عبـــده   ألقـــىٰ عليـــه محبـــةً للنـــاسِ

وقد أخذ رضي الله عنه عن الجَد محمد بن علي الأخذ التام وصاهره تزوّج ببنت بنته، وكَثُر اختلافه عليه وعكوفه بين يديه، وقد أخبرني بأنه قرأ عليه تفسيراً وحديثاً وفقهاً وتصوفاً وأن له مدد منه في الظاهر والباطن، وذكر في ترجمته للجد محمد يصف ارتباطه وتعلقه به وأخذه عنه قال: والحمد لله الذي جعل لنا وداً في قلبه ومحبةً وحناناً ورأفةً علينا وشفقة وتعليماً خاصاً وعاماً وعناية بنا تامة ونظراً علينا.

وقد أثنىٰ عليه نفع الله به مشايخه العلماء العارفون مثل الحبيب أحمد بن حسن العطاس فإنه نَوَّه بشأنه ونَشَر فضلَه وهو حاضر مجلسه فقال: هذا السيد ـ يُشير إليه ـ ما انتقدت عليه لا بظاهري ولا بباطني ولو وزنتموهم كلهم ما حد يطلع ميزانه وله وقت. . إلىٰ آخر ما قال، ومثل الحبيب علي بن محمد الحبشي فإنه ذكره في مجموع كلامه الذي جمعه السيد الشريف عمر بن محمد مولىٰ خيله، وقد أخبره بعضهم أنه أتىٰ عائداً من عند المذكور من وجع عيونه فقال: هذا الولد ـ يعني سيدي أحمد ـ عيونه عيوننا، ولا معي أحد يقرأ لي إلا هو، الله يشفيه ويبارك لنا فيه، لما شكىٰ الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي ضعف بصره قلت له: وأنا كذلك، قال لي: أنت معك أحمد بن عبد الرحمٰن يقرأ لك، وهذا الولد رجل عالم عامل ورع معترف

لا يشهد لنفسه عِلماً ولا معرفة، وهو مجهول عند أبناء الزمان في بلادنا خاصة لموت نفسه وأخلاقه الحسنة ما كأنه عالم، يعظّمون أُناساً ما عندهم عُشر معرفته وهو أولى بالتعظيم، وهو اليوم أفقه أهل الجهة الحضرمية، لو أشكَلَت علىٰ الناس مسألة ما يحلها إلا هو، وقد أثنىٰ عليه أخونا العلامة حسين بن محمد الحبشي لما طالع هو وإياه في «البهجة» وأعجبه كثيراً ووجده واسعاً في العلم فقال: لو دخلنا به مصر لقرّت به أعيننا عند علمائها، وقد طالع كتباً عديدة وحِفظه قوي، تسأله عن المسألة في «التحفة» فيأتي بعبارتها من حفظه، وتسأله عن الحديث في البخاري وغيره فيُمليه من حفظه، فهو عالم محقق وسواده قوي، هات له الكتاب الكبير الغَلِق يَمُر فيه ولا يلحن أبداً وسواده يقارب سوادي، كنت أيام قوة بصري لا أتوقف في الكتاب الذي ما فيه نقط، ثم توجّه رضي الله عنه في تلك الساعة بِوجهة قوية في حصول الشفاء العاجل لتلميذه المذكور من وجعه، فاستجاب الله دعاءه وما غربت شمس ذلك اليوم إلا وجاءه البشير بالعافية، وفي صباح اليوم الثاني أتىٰ إلىٰ شيخه بارئاً بحمد الله، وقد مَكَث في بيته من وجع العيون نحو شهرين. انتهىٰ مع نوع تصرّف، وسمعت العالم الناسك السيد عبد الباري بن شيخ العيدروس بمسجد الحبيب طه بن عمر يُثني علىٰ سيدى أحمد المذكور وينشر فضائله ويحث الحاضرين علىٰ ملازمته واقتفاء سبيله والتأدب معه، حتىٰ أملىٰ جملة من شمائله وسِيَره وأخلاقه وكلام مشايخه فيه، وفي آخر كلامه قال: أخبرني الأخ العارف بالله عبد الله بن عيدروس العيدروس قال: لا أرىٰ في هذا الوقت خليفة لله في أرضه مثل أحمد بن عبد الرحمٰن فإنه خليفة الله في أرضه.. أو كما قال نفع الله بالجميع.

ثم أني اقتصر علىٰ ما ذُكِر وهو نزر حقير، ولا سبيل إلىٰ الإحاطة بِعُشر ما أودعه المولىٰ فكيف بالكثير، وقد ترجمه ابنه الماجد الأخ عبد القادر بن

أحمد بترجمة طويلة وكلها مفيدة فليرجع إليها مُريد المزيد، وذكره السيد الفاضل الصوفي محمد بن حسن عيديد وعدّه الشيخ التاسع والتسعين من مشايخه.

وله نفع الله به وصايا ومكاتبات وكلام نفيس جَمْعُ بعض الإخوان وتراجم للعلماء الأعلام.. ففي ذلك الغُنية والكفاية، فالله ينفعنا به ومشايخه ولا يحرمنا بركاتهم ومعارفهم، وتوفي لأربع مضت من شهر محرم سنة ١٣٥٧ سبع وخمسين وثلاثمائة وألف، ودفن بسيؤن قريباً من والده داخل القبة رحمه الله رحمة الأبرار وإيانا آمين.

ومنهم الإمام العلامة الجهبذ الفهامة حَسَن الأخلاق والأوصاف هادي ابن حسين بن عبد الرحمٰن السقاف، ولد نفع الله به نحو سنة ١٢٦٦ ست وستين ومائتين وألف ببلد سيؤن، وتربىٰ تحت حِجر والده ولاحظته العناية، وأخذ العلم عن الكثير والجم الغفير، منهم سيدي الجد محمد بن علي السقاف والعلامة صافي بن شيخ السقاف والعلامة الحبيب علي بن محمد الحبشي وغير هؤلاء، ودرس في عدة علوم، فأخذ عنه جملة من فضلاء الدهر، منهم الشهاب العلامة أحمد بن عبد الرحمٰن بن علي وسيدي العلامة الوجيه ابنه محمد بن هادي والشيخ سعيد بن عيسىٰ العمودي والشيخ محمد ابن محمد باكثير وغيرهم.

وقد كان رضي الله عنه عالماً عاملاً فاضلاً ناسكاً زاهداً في الدنيا متقللاً منها منعزلاً عن الخلق مع الإستقامة التامة والمجاهدات وكثرة العبادات، كان يقرأ كل يوم سُبُعَينِ من القرآن العظيم ولا يترك ذلك ولو شُغِل بأكبر شاغل، وسمعت سيدي محمد بن هادي يقول: إن الوالد هادي يقول: إن الحبيب محمد بن علي شيخي، وكان يقدمني علىٰ غيري ويقول: إن جدك الحبيب عبد الرحمٰن بن حسن شيخي، ولما توفي الحبيب عبد الرحمٰن رجع

يتردد إلىٰ عند ابنه الناسك حسن بن عبد الرحمٰن، وحَصَلت بينهما صحبة أكيدة ومحبة في الله، وقد وقع مرة أن الحبيب هادي المذكور أخذ لحماً لوالده الحبيب حسن، فلما كان اليوم الثاني دعاه وقال له: ممن اشتريت اللحم؟ فأخبره بالبائع، فقال: إن اللحم فيه شُبهة لقد ثقلت البارحة عن أورادي، والذي حلّ بي حلّ بعمك محمد بن علي فقد اشتروا له من ذلك اللحم.. كشفاً منه، فسئل عن ذلك فوجد الأمر كما أخبره به والده.

توفي الحبيب حسن المذكور سنة ١٣٠٠ ثلاثمائة وألف، وقد ألّف الحبيب هادي كتاباً في قراءة نافع سمّاه «الجوهر المصون في رواية قالون» ونبذة سماها «كنز الجواهر فيما يحتاجه المسافر» ونبذة أيضاً سمّاها «تسلية الحزين فيما يصاب به في النفس والأهل والمال والبنين».. ولم يزل علىٰ أحسن حال إلىٰ أوان الإنتقال، وتوفي بسيؤن في ١٧ شهر شعبان سنة ١٣٢٩ تسع وعشرين وثلاثمائة وألف، ودُفِن داخل قبة الحبيب سقاف بن محمد، ورثاه جماعة من الآخدين عنه، منهم الشيخ محمد بن محمد باكثير بقصيدة مطلعها:

أيا عين جودي واجعلي الدمع داميا ... نجيعا علىٰ من يعبد الله خاليا
فيا وحشة الدنيا إذا ذهب الذي ... بهمّته القعساء نال المعاليا
تقلّد سيف العلم في بدء أمره ... صغيراً يلاقي من رآه النواويا
وإن قال في علم الحديث كأنما ... يرىٰ سامعوه مُسلماً والبخاريا
له في التقىٰ الحظ الكبير وفي الهدىٰ ... فاصدق بمن سمّاه في الناس هاديا
وكنا به والعيش روضٌ وبهجةٌ ... ونشرب كأس العلم عذباً وصافيا

إلىٰ أن قال:

بَكَتْهُ الدروس العامرات التي بِهِ ... تروح وتغدو زاهرات زواهيا
بكينا علىٰ من يعبد الله ساهراً ... حزيناً وأما بالنهار فتاليا

وهي طويلة ذكرنا بعضها اختصاراً، ومنهم الشيخ الفاضل عبد الرحمٰن ابن محمد بن محمد بارجاء بقصيدة طويلة مطلعها:

أسفٌ علىٰ أسفٍ وقلب محرقُ ... وكآبة وتولع يتألقُ
والنوم حارب للجفون وهكذا ... حال الأسيف وعَبرة تترقرقُ

إلىٰ أن قال:

مِن فَقْدِ سيدنا الإمام المرتضىٰ ... هادي المقال وبالهدى متخلق
تالي الكتاب نهاره مع ليلهِ ... بتدبرٍ وبسرِّهِ متحققُ
في كل أنواع المعارف قد حوىٰ ... قصب السباق تراه دأباً يَسْبِقُ
قاد المعالي كلها بزمامها ... فتطيعه فيما يهمّ وينطقُ

ومنها:

ولنا العزاء بمن بقي من سادةٍ ... أهل النبوة بحرهم متدفق
بإمامنا أضحىٰ المكان مكللاً ... تاج البهاء نِعم ذاك الرونق
أعني به الحبر المكين محمداً ... فله المعالي دائماً تتعشق
أعطاه ربّ العالمين علومه ... وأزاده فالفضل دائماً مطلق

ثم خَلَف سيدي هادي بن حسن المذكور علماً وأخلاقاً وشمائلاً وهدياً العلامة العامل الطَود الكامل، الذي بَعُدَ صيته وعلا قدره، الحائز قصبات السبق علىٰ الأقران، مظهر القُطر ومربي المريدين، ابنه الجمال محمد بن هادي بن حسن بن عبد الرحمٰن، ولد نفع الله به نحو سنة ١٢٩٢ اثنتين وتسعين ومائتين وألف بالبلد سيؤن ونشأ بها تحت نظر والده واقرأه القرآن العظيم، ثم شرع في طلب العلم الشريف علىٰ والده وأكثَرَ من الأخذ عنه والتلقي منه، وتأدب بآدابه ولاحظه في حركاته وسكناته وسائر حالاته، ثم أمره بالتلقي والأخذ عن غيره من صدور العلماء الأعلام، منهم القطب

العارف بالله علي بن محمد بن حسين الحبشي فإنه قرأ عليه كثيراً وأجازه وأدرك منه المدد الجزيل والعطاء الوافر، وكان يحبه غاية المحبة ويشير علىٰ من أراد القراءة بالأخذ عنه والقراءة عليه والعكوف بين يديه، وقد أمره بالتدريس في مسجد الرياض في صِغَر سِنّه، فأشفق عليه جدّه لأمه السيد الجليل أحمد بن جعفر فخاف عليه من العين، فأتىٰ إلىٰ عند الحبيب علي المذكور وأخبره بما حاك في صدره، فقال له: العلم يحرس صاحبه، فَجَلس ودرّس به مدة امتثالاً لأمر شيخه المذكور، وقد اتفق له مرة مع ابتداء طلبه أنه أعطاه حِفظَه في ملحة الأعراب صُحبة أقرانه فردّ عليه الكتاب ولم يستمع له، ثم بعد تفرّق أقرانه قال له: تحفَّظ في الألفية لِمَا رأىٰ عليه من النجابة ورعته من المولىٰ العناية، ثم أنه حفظها وحفظ جملة متون منها الإرشاد والزبد والرحبية والمُلْحَة واللامية والبيقونية وغير ذلك، وممن أخذ عنه العالم العلامة شيخان بن محمد بن شيخان الحبشي، قرأ عليه شرح ابن قاسم علىٰ أبي شجاع وشرح الشيخ خالد علىٰ الأزهرية وأيساغوجي في علم المنطق، ولما جاء إليه وأراد القراءة والأخذ عنه شَرَط عليه أن لا يتولىٰ وظيفة القضاء، فَقَبِلَ الشرط ووفّى به، ومنهم العالم الفقيه القاضي علوي بن عبد الرحمٰن السقاف والعلامة عبد الله بن محسن وأخوه السيد الكريم عبيد الله ابن محسن بن علوي وله معه وقائع وإشارات وبشارات، واستمد من الحبيب البركة عمر بن حسن الحداد، وأخذ عن كثير من علماء الجهة، منهم العالم الفقيه الحبيب عبد الرحمٰن المشهور والحبيب القدوة أحمد بن حسن العطاس والحبيب الكريم أحمد بن محسن الهدار المتوفى بالمكلا وغيرهم ممن يطول عدّهم، فكَرَع من حياضهم وارتوىٰ من نمير بحارهم واستخرج جواهرهم وأُودع سرائرهم، ثم طَلَع شمساً في رابعة النهار وانتشر صيته في الجهة وسائر الأقطار، فقصده الآخذون من كل مكان وعَكَف عليه ابناء

الزمان، وكَثُر لديه الطلبة وأخذوا عنه طبقة بعد طبقة وجيلاً بعد جيل، فكل من عاصرناه من أقراننا ومَن قبلهم ممن يعسر عدّهم أخذوا عنه وقرأوا عليه كتباً جمّة في فنون شتىٰ من تفسير وحديث وفقه وآلاتها، وتصدروا في زمانه الفُتيا والقضاء والتدريس فكلّهم نوابه وعالة عليه، وحصلت بينه وبين السيد العلامة ناشر الدعوة المحمدية في الأرض الجاوية علي بن عبد الرحمٰن الحبشي الوصية والإجازة، كل منهما أجاز الآخر بإجازة مطوّلة مكتوبة عندهما.

وكانت مجالسه نفع الله به للتدريس أول أمره أنه يقرأ علىٰ والده بعد صلاة الفجر في الجامع الصغير للجلال السيوطي، وبعد طلوع الشمس يجلس في الزاوية وتَرِدُ إليه الطلبة أرسالاً، ويقرأ أولاً أصحاب الكتب المختصرة ثم يترقىٰ الأمر إلىٰ الكتب المَبسوطة مثل المنهاج وشرح المنهج والألفية وشروحها وأمثال ذلك.. وينتهي المَدْرس قرب الزوال، وبعد صلاة الظهر يجلس أيضاً وتعود الطلبة والقراءة متنوعة ويستمر الدرس إلىٰ آخر العشية، ثم يقوم إلىٰ عند والده للقراءة في كتب التصوف إلىٰ المغرب، وبعد صلاة المغرب يجلس للتدريس في المنهاج أو نحوه إلىٰ صلاة العشاء، ثم يجلس للمطالعة بعد صلاة العشاء وأخذِ ما تيسّر من المأكول ويستمر في غالب الأحيان إلىٰ ربع الليل الأخير، ثم ينام قليلاً ويقوم قبل الفجر للتهجد، وبقي علىٰ هذه الحالة سنين عديدة.

بقدرِ الكدّ تُكتسب المعالي ومن رام العلا سهرَ الليالي

وجلس نفع الله به أخيراً في مسجد حسن للمَدْرس العام، وقد قرىء عليه فيه الإحياء لحجة الإسلام الغزالي وصحيح الإمام مسلم وأما صحيح البخاري فكلما قرأوه رجعوا إليه، ويملي علىٰ الطلبة في علوم الحديث وفَهمِ معانيه ما لا يوصف، ثم في آخر المَدرس يُلقي علىٰ الأسماع من

الوعظ والتذكير ما يَروي الصادي ويشفي العليل، ذلك لمن كان له قلب أو ألقىٰ السمع وهو شهيد.

ثم اشتاقت نفسه نفع الله به إلىٰ الرحلة والنظر في ملكوت الله وبدائع صنعه، فرحل إلىٰ مصر والقدس سنة ١٣٤٣ ثلاث وأربعين وثلاثمائة وألف، وصَحِبته وصَحِبه كثير من تلاميذه وخواصه، وحصل من علماء مصر والقدس الأخذ والتلقي والإجازات بعد أن أخذوا عنه وأجازهم، وممن لقيه بمصر السيد أحمد بن محمد بن الصديق الغماري الحسني، والشيخ محمد النجدي الشرقاوي شيخ الشافعية بمصر حينئذٍ وهو تلميذ الشيخ محمد الأنبابي، والشيخ عوض بن محمد الزبيدي المعمّر فوق المائة، والشيخ عمر حمدان والشيخ سلامة العزاني والشيخ محسن بن ناصر أبو حربه وغير هؤلاء من رجال العلم، وحصل في هذه الرحلة من المعارف والطائف والمحاورات والطرف ما لا يوصف كما هو مثبت بعض ذلك في الرحلة التي كتبها الشيخ محمد بن أحمد الصبان.

ثم رحل ثانياً إلىٰ الحرمين الشريفين لأداء النسكين وزيارة أشرف الثقلين سنة ١٣٤٧ سبع وأربعين وثلاثمائة وألف، وصَحِبه كثير من تلاميذه ومريديه، وسار من جهة حضرموت عدد كثير بل ومن أهل جاوه لما سمعوا بتوجهه، ومن جملة من سار بمسيره في هذه السنة والي سيؤن السلطان منصور بن غالب الكثيري وابنه جعفر وبعض خواصه وذلك لِمَا سبق له في طَيّ الغيب من السعادة، فإنه بعد ما زار سيد المرسلين رجع إلىٰ مكة المشرفة وأحرم بالحج وخرج إلىٰ عرفات موطن الإجابات وغَفْر الذنوب للحاج حتىٰ التبعات علىٰ ما اعتمده بعض المتأخرين من المحققين دعاه رب العالمين ووافته المنية في تلك البرِّية بُكرة يوم التاسع من ذي الحجة،

وصلىٰ عليه شيخنا محمد المذكور ودفن بها رحمه الله، ثم استأجروا من يحج عنه لأن الوقت متسع فأحرم وأدىٰ عنه ما يلزم.

ثم إن شيخنا محمد لقي بالحرمين الشريفين علماء جهابذة من السادة الأشراف وغيرهم من القاطنين والواردين، مثل السيد الجليل عيدروس بن سالم البار والشيخ عمر بن أبي بكر باجنيد والشيخ عمر حمدان والسيد علي ابن علي الحبشي وغير هؤلاء، فأخذ عنهم وأخذوا عنه وأجازهم وأجازوه وحصل لكل الإمداد والاستمداد، وقد حضرتُ هذه الحجة ولله الحمد، وكتب الأخ الأجلِ محمد بن شيخ المساوى رحلة جامعة لهذه الحجة فلينظرها مريد الإفادة.

ثم بعد رجوعه من الحرمين وحصول الأنس التام لأهل وطنه وإلقاء التهاني والمديح نظماً ونثراً من تلاميذه جَلَس علىٰ عادته من النفع الخاص والعام من إرشاد المخالفين وهداية الحائرين وتقويم المائلين، وكان ملاذاً للعباد ركناً شديداً عند النوازل، كثير الوعظ شديد الاعتناء بسِيَر السلف الصالح، وكان يصرّح بالتذكير ولا يبالي برفيع أو حقير أو مأمور أو أمير، وكان كريماً سخياً متواضعاً ورعاً زاهداً محتاطاً صاحب عِلم وحِلم وصبر وعفو وصفح وثَبَات وكرم نفس وسماحة، وله محبة في القلوب، وللناس فيه اعتقاد تام للخاص والعام، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ مع ما كساه المولىٰ من الهيبة والجلال والوقار، وله عناية بتربية أهل البيت وغيرهم ودربة تامة في تعليم المريدين وردّ المخالفين، وكان كثير الزيارة للعلماء والمشاهد والمعابد، كثير الإعتناء بزيارة نبي الله هود علىٰ نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ويحب إقامتها ويذاكر في شأنها، وإن سار عَزَم علىٰ الزيارة الكثير والجَمُّ الغفير، وقد سار إلى عسنب لزيارة نبي الله صالح مرّات وزار نبي الله حنظلة بن صفوان كذلك، وكان معظِماً

للعلماء والأولياء ومحباً لهم ومحبوباً لديهم، ومجالسه كلها نفع لا يشوبها شيء آخر ولا تذكر فيها الدنيا، وأما أسفاره وأسماره كلها فهي علم، قد قرئت عليه فيها كتب كثيرة من الأمهات الست في الحديث وشرح صحيح الإمام مسلم للإمام النووي وبعض كتب الفقه والنحو والتاريخ وغير ذلك.

وكان نفع الله به يقرأ كل سنة ثاني من رجب صحيح الإمام البخاري وتنتهي القراءة اليوم الثامن من بعد طلوع الشمس، ويحصل في تلك القراءة من الوقار والسكينة والطمأنينة والتوأدة علىٰ جميع الحاضرين ما لا يعهد مثله مع الزحام وكثرة الناس، وكان له كلام نفيس نَثْر كله دُرَر في ثلاثة مجاميع، وله مكاتبات وإجازات ووصايا، وقد أخذت عنه وانتفعت به وألبسني وأجازني وقرأت عليه تفسيراً وحديثاً وفقهاً ونحواً وصرفاً وتصوفاً وغير ذلك، ومن اطّلع علىٰ ما ذكرت من شمائله لا بد وأن ينسبني إلىٰ التقصير، ولكن أقول له لم أرِد استيفاء ترجمته وهيهات، ولولا خوف الإطالة لملأت الدفاتر والأوراق من محاسن سِيَره وفضله والأخلاق، وفي نثره من الوصايا والمجاميع كفاية، فالله يبقيه نفعاً للعباد والبلاد ويزيده من عطائه وينيله برّ نعمائه وأن يمد في عمره مع الصحة الكاملة كهفاً وملاذاً ونفعاً للعباد والبلاد(١)، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

ولنرجع إلىٰ صاحب الترجمة فنقول: قد حصلت منه الوصية والإجازة للسيد الفاضل الشريف عبد القادر بن حسن بن علي الجفري وهي: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ الحمد لله

---

(١) توفي الحبيب محمد هادي في النصف الثاني من رجب سنة ١٣٨٢هـ، وللوالد علوي ابن عبد الله السقاف أبيات أرّخ بها وفاة الحبيب محمد بن هادي، كما أرّخ الحبيب عبد القادر بن حسن السقاف الوفاة بقوله: محمد بن هادي مولاه عنه راضي.

الهادي لطاعته من شاء من عباده المقبلين عليه، ووفّقهم للسعي لما يقرّب إليه، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد الشفيع الأعظم وعلىٰ آله وصحبه. أما بعد:

فقد طلب مني الولد الحبيب الندب النجيب عبد القادر بن حسن بن علي بن الحسن بن أبي بكر الجفري الوصية والإجازة حُسن ظنٍ منه بالفقير الجدير بأن يُوصىٰ، فأوصي نفسي وإياك يا ولدي بتقوىٰ الله التي وصّىٰ الله بها الأولين والآخرين، وهي امتثالك لما به الله أمرَ والانتهاء لما عنه الله نهىٰ وزجر، الله الله في طاعة ربك في جميع أوقاتك، وأصلح نيتك في سائر حركاتك وسكناتك في عبادة وعادة وكَسْب ومعاملة.. اْنوِ بها الخير وصون الوجه عن الحاجة إلى الناس وصلة الأرحام والأقارب ونفع العباد وإعانتهم ابتغاء وجه الله وثوابه، واستعن بالله وتوكّل عليه وفوّض أمورك إليه، وعليك بالصدق مع الله ومع خلق الله وحُسن الظن بعباد الله، لا تحقرنّ أحداً ولا تخاصم أحداً ولا تحقد علىٰ أحد ولا تعتبَ علىٰ أحد، واعتمد علىٰ ربك ودَعْ من سِواه، ومن يَسَّرَهُ اللهُ لقضاء حاجة أو مُهِمٍّ فاشكره واشكر في الحقيقة ربك الذي لَيَّنَ قلبه وسخّره لك، وكن حامداً لله شاكراً له وذاكراً، وحافظ علىٰ الصلوات في أول الأوقات وفي الجماعات، والحذر من مدّ العين إلىٰ زهرة الدنيا وتعظيمها وأهلها لأجلها، لا تُدخلها قلبك خلّها بِيَدِك مستعيناً بها علىٰ آخرتك نِعْم المطية للآخرة تَسُدّ بها حاجة وتنفّس بها كربة، واجعل همك آخرتك والعزم علىٰ الرجوع إلىٰ الوطن، الحذر الإطمئنان وتطويل المدة في جاوه، وعليك بحفظ الوقت بمطالعة كتاب أو ذكر أو فكر في آيات الله والآئه ومجالسة من يرشدك في دينك أو دنياك، وعليك بالمحافظة علىٰ رواتب الصلوات والوتر، الحذر تترك شيئاً وإن فاتك شيء فبادر بقضائه، وأوصيك بالصدقة كل يوم وأن قَلّت، فإن لها تأثيراً في دفع المصائب والآفات العارضة للأموال والأنفس.. اِحرص علىٰ ذلك بارك الله فيك.

والله الله يا ولدي في الأولاد وعمّم في الإرشاد لهم وتَعَهّدهم بالتنبيه فيما فيه صلاح أحوالهم وأمورهم والسيرة المرضية وترك الرغبة في الجهة الجاوية، وحرّضهم علىٰ الخروج، وكذلك ذكّر الولد محمد بن أحمد إن شِي وقع في خاطره من طرف زواج الولد سالم أزله بما ترىٰ وأن لا يترك تعهده كما كان، لأنا نراه في محلنا وأزيد، وكبّر الهمة والصِلة.

وأجزتك يا ولدي في قراءة القرآن والأوراد والأذكار النبوية والسلفية، وخصوصاً ورد الحبيب عبد الله بن علوي الحداد اللطيف، وحزب النووي صباحاً ومساءً، وحزب البحر بعد صلاة العصر وبعد الشرق أو أي وقت، وقراءة لإيلاف قريش وألم نشرح بعد كل صلاة، وعليك بكثرة الاستغفار والصلاة علىٰ النبي ﷺ حسب الاستطاعة، وبعد العصر «سبعين مرة» من استغفر الله، وبعد صلاة الصبح: استغفر لله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه رب اغفر لي «سبعاً وعشرين مرة»، وقراءة دعاء الخضر صباحاً ومساءً وهو: اللهم كما لطفت بلطفك في عظمتك دون اللطفاء، وعلوت بعظمتك علىٰ العظماء، وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك، وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك، وعلانية القول كالسر في علمك، وانقاد كل شيء لعظمتك، وخَضَع كل ذي سلطان لسلطانك، وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك، اجعل لي من كل همٍ وغمٍ أصبحت وأمسيت فيه فرجاً ومخرجاً، اللهم إن عفوك عن ذنوبي وتجاوزَك عن خطيئتي وسترك علىٰ قبيح عملي.. أطمعني أن أسألك ما لا أستوجبه منك مما قصّرت فيه، أدعوك آمناً وأسألك مستأنساً، وأنك المحسن إليَّ وأنا المسيء إلىٰ نفسي فيما بيني وبينك، تتودّد إليّ بالنّعم مع غناك عنّي وأتبغض إليك بالمعاصي مع فقري إليك، ولكن الثقة بك حملتني علىٰ الجرأة عليك، فَعُد بفضلك وإحسانك علَيَّ، واغفر لي أنك أنت الغفور الرحيم... وادعُ لي ولأودلاي

بِحُسن العواقب كما هو لكم مبذول، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين. أملىٰ ذلك الفقير إلىٰ الله: محمد ابن علي بن علوي بن عبد الله السقاف. وحرّر ١٩ في شهر ربيع ثاني سنة ١٣٠٠ ثلاثمائة وألف.

وقد أثبتُّ ما وجدته وظَفِرت به من الوصايا والإجازات، وبقيت منه وصايا أوصىٰ بها بعض السادة الأشراف مثل السيد الجليل محمد بن عمر الجفري والسيد الشريف جديد بن محسن بن علوي السقاف والسيد الفاضل سالم بن محمد الحبشي.. وغيرهم، ولكن الموجود من ذلك قليل والكثير لم نظفر به بعد السؤال والبحث والتفتيش بحسب المستطاع، وكم قد فات بسبب التهوين وعدم الاِعتناء بما للسابقين من هدي وسِيَر وأخلاق وصار مرمياً في زاوية الضياع، ولله درّ القائل حيث يقول:

تفوتُ الخبايا في الزوايا وما لها — من الناس بين الناس في الناس ذاكرُ

تفوتُ كرامات الرجالِ شواردا — إذا لم تقيّدها علينا الدفاترُ

ولكنا لا نيأس من ذلك وأملنا في المولىٰ جميل فنترجّىٰ حصول ذلك، فَرُبَّ من عنده شيء مما ذُكِر يبلغه الخبر أو يقف علىٰ هذا ويتحفنا بذلك وأمثاله مما ليس بموجود لدينا، فإن صاحب الترجمة رضي الله عنه كان معتقداً عند الخاص والعام محبوباً لديهم ويعظّمونه ويلتمسون بركاته ويقتبسون من مشكاة مصباحه، فهو الدرة المصونة والجوهرة المكنونة.

وبالجملة فقد كان رضي الله عنه كريم السجايا حَسَن الشمائل، زينة للبلاد رحيماً بالعباد، محباً للمساكين شفيقاً علىٰ اليتامىٰ والأرامل، مجتهداً في العبادات وسائر القربات، كثير الذكر دائم الفكر، قائماً بالأسحار مع تضرّع وافتقار وابتهال واستغفار وتذلل وخضوع واستكانه وخشوع ووَجَل

وإشفاق، كريماً سخياً شريفاً غني النفس متقللاً من الدنيا قانعاً بالكفاف مكتفياً من القوت باليسير، دائم البشر سليم الصدر، فاراً من الجاهات والرياسات والمظاهر، محباً للخمول وعدم الشهرة، معظماً للعلماء وأولي الفضل يجلّهم ويحترمهم، حريصاً علىٰ حفظ اللسان بعيداً من الفضول، متحملاً للأذى مغضيًا عمن أساء إليه مكافياً لمن أحسن إليه، زاهداً متورعاً محتاطاً، آخذاً بالعزائم مع ما آتاه الله من الهيبة والجلال والوقار وحُسن الفعال وشريف الخصال، وكان كثير النفع للعباد والبلاد من تقويم المائلين وإرشاد للمخالفين وبذل النصيحة للمسلمين وتبليغ العلم ونشره لأهل بلده وغيرهم، أداءً للأمانة ونُصحاً للأمة وخلافة عن جدّه السيد الأمين الذي بعث رحمة للعالمين صلى الله وسلم عليه وعلىٰ آله، فالعلماء نوابه وخلفاؤه ووارثوا هَدْيه وعلمه ومبلغون عنه.

لم نَخَف بعدك الضلال وفينا　　　وارثوا سرّ هَدْيك العلماء

فالله ينفعنا بهم ويرزقنا الأدب معهم والاقتفاء لسبيلهم والمحبة الصادقة لهم.

لي سادة من حبهم　　　أقدامهم فوق الجباهْ

إن لم أكن منهم فلي　　　في حبهم عزٌّ وجاهْ

ولما دنا ظهور فجر المَنِيَّة وحنت روحه الزكية إلىٰ الحضرة العلية عزم رضي الله عنه إلىٰ تريم بعد أن رأىٰ سيدنا الفقيه المقدم في المنام يقول له: يا محمد مرادنا بأحد منكم يأتي إلينا، فانتبه ولم يُلقِ للرؤيا بالاً، ثم إنه في الليلة الثانية رأىٰ مثل تلك الرؤيا، فلما كان الليلة الثالثة رأىٰ سيدنا الفقيه أيضاً وأعاد عليه مقالته السابقة، فقال له: تريد مَنْ يأتي إليكم؟ فمسك سيدنا الفقيه المقدم بعضده وأشار إليه، فلما أصبح استخلف من أعيان السادة وأوصاهم بوصايا وأشار إليهم بإشارات واستخلف السيد العلامة علوي بن

عبد الرحمٰن السقاف علىٰ مسجد الحبيب طه بن عمر وأمره بعمارته وإقامة المدارس والصلوات وغير ذلك، وقامت له رضي لله عنه قواطع وموانع وأسباب خاصة به توجب تخلفه عن المَسِير أعرض عنها ورمىٰ بها جانباً ولم يبال بها واستصحب معه ابنه السيد الجليل علي والسيد الشريف محمد بن عمر الجفري والمحب الصالح سالم بن مبارك باصالح، وقد ذكر لي سالم المذكور أنه عزم سنة من السنين لزيارة تريم صحبة الحبيب محمد بن علي، قال: فلما كان وقت المسير وخروجنا من سيؤن إذا برسول لي من بعض السادة الظاهرين يطلب مني أن اتخلّف فامتنعت، فقال لي الحبيب محمد: يا سالم اِخلف والزيارة العظمىٰ لنا إن شاء الله تحضرها، فلما عزم علىٰ الزيارة هذه دعاني وقال: عزمنا علىٰ الزيارة التي أوعدناك بها، فسِرت معه وحصل لنا فيها ما حصل.

ثم إنهم بعدما توجهوا من سيؤن قصدوا قرية «بور» فوجدوا بها ما يزعجهم بما لا يليق، فتوجهوا إلىٰ تريم ونزلوا بها في دار السادة آل شهاب ثم تحوّل رضي الله عنه إلىٰ بيت السيد الشريف سقاف بن أحمد الجنيد حرصاً منه ورغبة علىٰ أن تكون صلواته في مسجد القوم مسجد آل باعلوي الذي قال في شأنه الحبيب عمر المحضار: من ركع فيه ركعة تبارك، وكان الشيخ علي بن أبي بكر السكران يقول: إن روح سيدنا الفقيه المقدم ما تخرج منه أصلاً، وبقي في البيت أياماً يتردد إلىٰ المسجد المذكور.

فلما كان صباح يوم الأربعاء وعشر من شهر رجب دعاه منصب الحبيب عبد الله بن علوي الحداد لتناول الغداء عنده، فأجابه وخرج إلىٰ مسجد سيدنا عمر المحضار لصلاة الضحىٰ فيه فدخله وأحرم بالصلاة، فلما كان في السجود الذي يكون فيه العبد قريباً من الملك المعبود اشتاقت روحه إلىٰ مولاه بعد أن دعاه فلبّاه وأحبَّ لقاه فحضرته الوفاة وبقي مدة ساجداً لاصقاً

جبهته بالأرض، فلما أبصره ابنه سيدي العم علي ومن معه أطال السجود زيادة علىٰ العادة جاؤا إليه فوجدوه يقضي نحبه ووجدوا به بقية نَسَمٍ فأخذوه واحتملوه، قال سيدي الحبيب أحمد بن عبد الرحمٰن في ترجمته: ولم يتركوه يقضي تمام نحبه في ذلك السجود الذي أكرمه الله فيه بالصعود والشهود إلىٰ حضرة الملك الودود، فحملوه إلىٰ بيت السادة آل جنيد الذين خصّهم الله بالسعادة وأكرمهم بهذا القطب، ثم إنهم رأوا فيه بقية حركة في اليد اليسرىٰ والرجل اليسرىٰ فكووه رجاء الشفاء، قال سيدي أحمد: فكان ذلك والله أعلم تحلّة القَسَم يعني قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾.. الخ، ثم فارق الدنيا وشاع خبر موته، فوصل أعيان السادة من أهل تريم وترجح لديهم أن تكون الصلاة في اليوم الثاني بعد أن عزموا أولاً أن تكون آخر النهار وذلك لما يرون من شرفه وكرامته وارتفاع منزلته عند الخاص والعام، فكتبوا كتباً إعلاماً بذلك إلىٰ سيؤن وغيرها، وأرسلوا بخبر الوفاة إلىٰ سيؤن رجلاً راكباً علىٰ خيَل، فلما أشرف علىٰ الديار نعىٰ ذلك الإمام إلىٰ أهل تلك البلاد من العلماء والفضلاء والأولاد وسائر أهل السواد، فلما سمعوا ذلك الصوت المعلن بالموت ارتجت العباد والبلاد وأظلم ذلك الوادي، وضجَّ الناس وكَثُر البكاء والنحيب وعظمت الرزية وعمّت البلية والمصيبة وسرىٰ الحزن إلىٰ جميع الخلق، فعزم الناس للمسير لحضور الصلاة عليه وتوجهوا أفواجاً وأرسالاً مشاة وركباناً ولم يتخلف إلا من حبَسَه العذر، وسار العلماء والكبراء مثل الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي والحبيب علي بن محمد الحبشي وغيرهم من أهل تلك الجهة، ولم تَخْلُ الطريق من الواردين إلىٰ تريم لحضور الصلاة إلىٰ آخر الليل، وتولّىٰ غسله السيد العلامة الوجيه عبدالرحمٰن بن محمد المشهور، وصُلِّيَ عليه في الجبَّانة وحضر الصلاة عليه خلائق لا يحصي عددهم إلا

الله، وقد رأىٰ بعض أهل النور شخصاً بصورته يصلي عليه، قال السيد العلامة عبد الباري بن شيخ العيدروس: كان العم أحمد الكاف إذا تطيلس يدل علىٰ أنه دخل في عالم الملك والملكوت والناسوت، حتىٰ أن العم علي بن عبد الرحمٰن بن سهل وكان من خواصه أخبرنا أنه لما صلىٰ أي الحبيب أحمد علىٰ الحبيب زين بن عمر عيديد وخرج من الجبانة تطيلس ثم قال: رأيت شخصاً في صورة زين بن عمر يصلي علىٰ نفسه، وأخبرني أيضاً أنه لما مات الحبيب محمد بن علي السقاف رآه الحبيب أحمد المذكور يصلي علىٰ نفسه. . فرضي الله عن الجميع، ودفن في زنبل من جنان بشار نجدي سيدنا عمر المحضار قريباً من قبر جده الشيخ علي بن عبد الرحمٰن السقاف بينه وبينه نحو ذراع ونصف تقريباً.

وحصلت مرائي كثيرة بعد موته مبشرات تدل علىٰ مزيد فضله، منها ما رآه بعض العارفين: رأىٰ معه أخاه في الله سالم بن علوي السري والد السيد العلامة محمد بن سالم السري، وقد أخبرني سيدي محمد المذكور قال: إذا جاء الحبيب محمد بن علي إلىٰ تريم يتردد إلي عند الوالد سالم كثيراً وكانت بينهما أخوَّة وصحبة في الله ولهما مجالس خاصة بهما لا يحضرها أحد، ثم إني اختصرت هذه الرؤيا بحذف أولها طلباً للاختصار، قال الراوي: ورأيت مكاناً واسعاً وفيه خلق كثير لا يحصي عددهم إلا الله تعالىٰ، ولما دخلته لقيت أربعة نفر عند الباب يتلقون من دخل عليهم ولهم هيبة عظيمة، فقبّلت أيديهم وأردت الجلوس من زحمة الناس، ثم نظرت في صدر المجلس ووسطه فرأيت رجلين نويرين علىٰ كرسيين مرتفعين علىٰ الناس وهم يتلون آيات قرآنية بصوت واحد شَجِي، والناس الحاضرون كلهم ساكتون ويطالعون فيهم ويسمعون أصواتهم، وفيهم أربعة نَفَر أو خمسة متصدرون في المكان، وأنا جالس بجانب واحد فقير أعرفه وهو حي، فقلت: من هذان اللذان يقرآن القرآن، فقال: هذا السيد محمد بن علي السقاف والثاني

السيد سالم بن علوي السري، فقلت: ومن الذين هم عند الباب، فقال: سيدنا المحضار وسيدنا العيدروس وسيدنا السكران وسيدنا عبد الرحمٰن ابن الشيخ علي، فقلت: ومن هؤلاء في صدر المكان، فقال: هذا سيدنا الفقيه المقدم وابنه علوي وسيدنا عبد الله بن علوي وسيدنا محمد بن علي مولىٰ الدويلة وسيدنا عبد الرحمٰن السقاف وجملة أهل المجنة الجميع مجتمعون يؤنسون الواصلين، فقلت: ومن هم، فقال: هذان السيدان العظيمان السيد محمد بن علي والسيد سالم بن علوي وهم يزفون بهم كالعروس ومستمعون لقرائتهم القرآن، والآيات القرآنية التي يقرؤونها قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ إلىٰ آخر الآية، وقوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ﴾ إلىٰ آخر الآية، ويقرأ رجل آخر ويكرر قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، وقرأ رجل آخر: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾، وقرأ آخر: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾، ويتكلم بكلام غميظ من أهل الجمع سيدنا الفقيه المقدم والباقون مطرقون كأنهم برّح عليهم الطير ويمدح السيدين الشريفين السيد محمد بن علي والسيد سالم بن علوي ويقول: هذان السيدان صاحبا صبر وفكر وحلم وعلم يا سعادة من سار بسَيرها، ثم إن المجلس يخف من الناس إلىٰ أن بقي قدر ألف نفر مشىٰ كرسي سيدنا الفقيه المقدم وساروا خلفه وتفرّق بعده الناس وبقي السيدان الجليلان السيد محمد بن علي والسيد سالم بن علوي، فقمت إليهما وقبّلت أيديهما وسألاني عن أهلهما وأولادهما وأخوانهما وأحبابهما فقلت لهما: في خير وعافية. انتهىٰ.

هذا ما سَهُل إيراده من سِيَر هذا القطب المكين خلاصة السادة الأبرار رحمه الله وإيانا رحمة الأبرار، وجمعنا بهم في دار القرار، متمتعين بالنظر إلى وجهه الكريم في جوار أنبيائه ورسله، متوسلين في ذلك بسيد السادات وأشرف أهل الأرض والسموات، سيدنا محمد صلىٰ الله عليه وسلم وآله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكان الفراغ من جمع هذه السيرة ظهر يوم الإثنين واثنين وعشرين مضت من شهر ربيع الأولىٰ سنة ١٣٥٩ تسع وخمسين وثلاثمائة وألف، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

